

شبح الحكمة



المغامرات المثيرة

تقضي أفعى



ARABCOMICS.NET



شبح الحديقة



المغامرات المثيرة



تأليف : س . هـ . بيوتون

أعدّها بالعربية : محمد حلمي محمود

راجعها : الدكتور إبراهيم عوض

رسوم : حسن عبد الستار

مكتبة لبنات
بيروت

رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ١٩٩٠

١٠ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه
أو تسجيله بأي وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٠

رقم الإيداع : ٨٣٧٧ / ١٩٩٠

الترقيم الدولي : ٥ - ١٢ - ٠٠ - ١٦ - ٩٧٧ ISBN

طبع بمطابع دار المعارف

وَفِي أَحَدِ أَيَّامِ الرَّبِيعِ كَانَ السَّيِّدُ رُونْسُونُ يَتَنَزَّهَ بَيْنَ الثَّلَالِ ،
وَكَانَتْ الشَّمْسُ ساطِعَةً وَالطُّيُورُ تُغَرِّدُ ، فَأَحْسُ بِالسَّعَادَةِ كَعَادَتِهِ
كُلَّمَا تَنَزَّهَ بَيْنَ الثَّلَالِ . وَكَانَتْ الْمَرْجُ الْمُتَعَزِّلَةُ تَقْعِمُ قَلْبَهُ بِالسَّعَادَةِ ،
وَكَانَ الْهَوَاءُ الْعَلِيلُ ، وَالْهُدُوءُ السَّائِغُ ، وَالْعُشْبُ وَالثَّلَالُ الْمُمتَدَّةُ
أَمَامَهُ ، تَجْعَلُهُ يَقْبِلُ عَلَى الْحَيَاةِ . وَبَيْنَمَا كَانَ سَائِرًا فِي طَرِيقِ
لِلْمَشَاةِ ، تَعَوَّدَ أَنْ يَسِيرَ فِيهِ ، إِذَا بِهِ يَلْحَظُ دَرَبًا يَنْحَرِفُ إِلَى الْيَسَارِ ،
فَقَالَ لِنَفْسِهِ : « مَا أَغْرَبَ هَذَا ! إِنِّي لَمْ أَلْحَظْ هَذَا الدَّرَبَ مِنْ قَبْلُ . »

تَلُّ أَوْلَدِ كَاسِلِ

كَانَ السَّيِّدُ رُونْسُونُ يَعِيشُ بِمُفْرَدِهِ فِي دَارٍ صَغِيرَةٍ أَثِقَةٍ ، تَقَعُ
فِي الشَّارِعِ الرَّئِيسِيِّ فِي دَنْبُولَ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ تَقَعُ فِي غَرْبِ
إِنْجِلْتَرَا . وَكَانَ يَتَمَتَّعُ بِالشَّرَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ لِلْعَمَلِ . وَعَلَى
الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ يَوْمًا بِالوَحْدَةِ ؛ إِذْ كَانَ لَدَيْهِ
الكَثِيرُ مِنَ الْكُتُبِ فِي دَارِهِ الصَّغِيرَةِ ، فَقَدْ كَانَ قَارِئًا نَهْمًا . وَبِجَانِبِ
هَوَايَةِ الْقِرَاءَةِ ، كَانَ رُونْسُونُ مُقَرَّمًا بِالسَّيْرِ ، وَكَانَ دَائِمًا مَا يَرْتَادُ
الْمَرْجُ حَوْلَ مَدِينَةِ دَنْبُولَ .

وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ وَلَزَتْ تَأْتِي إِلَى الْمَنْزِلِ كُلَّ يَوْمٍ لِتَنْظِيفِهِ وَطَهْنِ
الطَّعَامِ لِلْسَّيِّدِ رُونْسُونِ ، وَكَانَتْ تُحِبُّ الْكَلَامَ كَثِيرًا فِي أَيْ
مَوْضُوعٍ يَعْنُ لَهَا أَوْ يَشْغَلُ بِهَا . وَكَانَ السَّيِّدُ رُونْسُونُ يَقُولُ
لِأَصْدِقَائِهِ إِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَشْعُرَ بِالوَحْدَةِ مَا دَامَتِ السَّيِّدَةُ وَلَزَتْ تَعْمَلُ
عِنْدَهُ .



انحرف السيد روبنسون عن الطريق المألوف ، واتبع الدرب الذي
على يساره ، فوجده يتخذ طريقاً متعرجاً بين أحد الوديان وأحد
التلال العالية . وكان يشق الوادي نهير لطيف ، فقال لنفسه :
« هذا من أجمل الأماكن التي وقعت عليها عيناى . » وكان المكان
خالياً منعزلاً ، وهو ما كان يصادف هوى في نفسه ؛ ومن ثم أخرج
خريطة ونظر فيها فوجد مكان التل عليها ، وكان اسمه تل
أولد كاسيل .

وبعد أن سار أكثر من كيلومتر ، ألقى نفسه عند تل
أولد كاسيل ، فقال لنفسه : « سأتسلق هذا التل وأستريح على قمته ،
ولا شك أن المنظر سيكون جميلاً من فوق . »

ولم يكن من السهل ارتقاء ذلك التل ؛ فقد كان على السيد
روبنسون أن يتوقف عدة مرات ، وكان كلما توقف تلفت حوله
فبدا له المكان أكثر غرابة ، فقال لنفسه : « إن هذا لفريد ! » لكنه
أرجع هذا الشعور إلى تصعيده المستمر في التل . وعندما بلغ قمة
التل نظر إلى المروج تحته فلم يصدق أن هذه هي المروج التي
يعرفها ، فقال لنفسه : « إنني أعرف المكان حق المعرفة ، بيد أنه يبدو
اليوم مختلفاً . وهذا طبيعي فإني لم أصعد إلى قمة هذا التل من

قبل . على أنه لا ينبغي أن أدهش إذا ما بدت الأشياء مختلفة عند
النظر إليها من هنا ، وعلى الأقل ففي مقدوري أن أشاهد ذلك
الدرب الذي يؤدي إلى دنبول . »

وتلفت حوله فرأى قمة التل وقد غطاها العشب القصير ، ولم
يكن ثمة شجر ، إلا أنه كان يوجد جدار وطيء ممتد في وسط
المكان ، فصعد إليه السيد روبنسون ، ووجده مشيداً من الطين
ومكسواً بالعشب . وكان ارتفاعه زهاء مئة وعشرين سنتيمتراً ، وبدا
أنه قديم للغاية .

قال السيد روبنسون لنفسه : « ترى من بنى هذا ؟ » ثم هبطه من
الناحية الأخرى ، وجلس على الأرض مسنداً ظهره إليه ، وأخذ
يتمتع بدفء الشمس ، وما لبث ، بسبب الهدوء والراحة ، أن راح
في سبات عميق .

عندما صبحا من نومه كانت الشمس قد مالت للمغرب ،
فانتفض واقفاً وتسلق الجدار إلى الناحية الأخرى ، وشرع يهرول
متخذاً سبيله إلى دنبول ، لأنه لم يرد أن يجن عليه الليل وهو فوق
التل . وحين بلغ السيد روبنسون منتصف الطريق تقريباً ، تملكه
الخوف فجأة ؛ إذ أحس أن أحداً ما كان يراقبه من فوق قمة التل .

قال لِنَفْسِهِ : « لا تَكُنْ أَحْمَقَ ! إِنْ قِمَّةَ التَّلِّ خَلْفَ ظَهْرِكَ ،
فَمِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا التَّأَكُّدُ أَنَّ أَحَدًا يُرَاقِبُكَ ؟ » وَكَانَ شُجَاعًا فَقَرَّرَ أَنْ
يَتَوَقَّفَ وَيَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ ، فَإِذَا كَانَ ثَمَّةَ مَنْ يُرَاقِبُهُ فَلَيْسَالَهُ عَنْ
السَّبَبِ .

لَكِنَّهُ تَذَكَّرَ فَجَاءَ الحُلَمُ الَّذِي رَأَاهُ وَهُوَ عَلَى التَّلِّ ، فَلَمْ يَتَوَقَّفْ أَوْ
يَلْتَفِتْ وَإِنَّمَا رَاحَ يَعْذُو مُسْرِعًا نَاحِيَةَ دَنْبُولٍ ، وَلَمْ يُطِئْ حَتَّى بَلَغَ
ذَلِكَ الطَّرِيقَ الَّذِي يَعْرِفُهُ . وَكَانَ قَدْ سَمِعَ أَصْوَاتًا أَثْنَاءَ تَوَمُّهِ فَوْقَ
قِمَّةِ التَّلِّ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْهَا أَوْ يَعْرِفْ لُغَتَهَا . كُلُّ مَا كَانَ مُتَأَكِّدًا
مِنْهُ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ الإِنْجِلِيزِيَّةَ . كَذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ كَمْ عَدَدُ الأصْوَاتِ
المُخْتَلِفَةِ الَّتِي سَمِعَهَا ، أَكَانَتْ أَصْوَاتَ رِجَالٍ أَمْ نِسَاءٍ ؟ لَمْ يَكُنْ
عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ مُوقِنًا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ رَأَاهُ فِي حُلَمِهِ ،
لَكِنْ الأصْوَاتُ كَانَتْ تَبْدُو غَاضِبَةً . كَمَا عَرَفَ ، وَهُوَ نَائِمٌ ، أَنَّ
الْمُتَكَلِّمِينَ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَرَاهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَهُ .

وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ كَانَ قَدْ نَسِيَ الحُلَمَ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يَشْغُلُ بِأَلْهِ فِي
ذَلِكَ الْوَقْتِ ، إِلَّا الْعُودَةَ إِلَى دَنْبُولٍ قَبْلَ أَنْ يُسَدِّلَ اللَّيْلُ أَسْتَارَهُ . غَيْرَ
أَنَّ الحُلَمَ عَادَ إِلَى ذَاكِرَتِهِ عِنْدَمَا كَانَتْ تِلْكَ الْعُيُونُ الخَفِيَّةُ تَرَقِّبُهُ مِنْ
فَوْقِ قِمَّةِ التَّلِّ .

وَأَعَدَّ السَّيِّدُ رُوَيْسُونَ السَّيْرَ إِلَى دَارِهِ وَفِي خَاطِرِهِ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ .
لَقَدْ كَانَ هُنَاكَ لُغْزٌ غَامِضٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَهُوَ يَكْرَهُ الأَلْغَازَ .

وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ وَلِزْ قَدْ تَرَكَتْ لَهُ طَعَامَ العِشَاءِ عَلَى الْمَائِدَةِ ،
فَتَنَاوَلَهُ السَّيِّدُ رُوَيْسُونَ عَلَى عَجَلٍ ، دُونَ أَنْ يُلَاحِظَ تَقْرِيًا مَاذَا كَانَ
يَأْكُلُ . وَبَعْدَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ دَفَعَ كُرْسِيَّهِ إِلَى الْوَرَاءِ وَغَادَرَ حُجْرَةَ
الطَّعَامِ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى مَكْتَبِهِ وَتَنَاوَلَ بِضْعَ وَرَقَاتٍ ، وَرَاحَ يَكْتُبُ فِيهَا
تَقْرِيرًا مُفْصَلًا عَنْ كُلِّ مَا حَدَّثَ فِي تَلِّ أَوْلَدِ كَاسِلٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .
وَوَقَعَ التَّقْرِيرُ وَذِيْلُهُ بِالتَّارِيخِ ، ثُمَّ أَسْنَدَهُ إِلَى الْمِجْبَرَةِ حَيْثُ يُمَكِّنُ أَنْ
يَرَاهُ أَيُّ أَمْرٍ يَقْتَرِبُ مِنَ الْمَكْتَبِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ تَنَاوَلَ الشَّايَ ثُمَّ أَوَى
إِلَى فِرَاشِهِ مُبَكِّرًا ، وَقَدْ وَطَّدَ العِزْمَ عَلَى حَلِّ لُغْزِ تَلِّ أَوْلَدِ كَاسِلٍ .

وَفِي السَّاعَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ كَانَ السَّيِّدُ
رُوَيْسُونَ يَصْعَدُ التَّلَّ ، وَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي هُدُوءٍ وَثَوْدَةٍ ، وَكَانَ بَيْنَ
الْفَيْنَةِ وَالْفَيْنَةِ يَتَوَقَّفُ وَيَحْدِقُ إِلَى مَا بَقِيَ أَمَامَهُ مِنَ التَّلِّ ، وَعِنْدَمَا
كَانَ يَتَأَكَّدُ أَنَّ أَحَدًا لَا يُرَاقِبُهُ يُوَاصِلُ سَيْرَهُ .

وَأَخِيرًا بَلَغَ قِمَّةَ التَّلِّ . لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شَيْءٍ يَتَحَرَّكُ أَوْ شَخْصٌ
يَتَكَلَّمُ ، وَكَانَتْ الْقِمَّةُ خَالِيَةً ، فَتَنَفَّسَ نَفْسًا عَمِيقًا . وَطَفِقَ يَسِيرُ
نَحْوَ الْجِدَارِ وَقَدْ ثَبَتَ لَدَيْهِ الْآنَ أَنَّ سِرَّ تَلِّ أَوْلَدِ كَاسِلٍ كَانَ يَكْمُنُ

وَرَاءَ ذَلِكَ الْجِدَارِ ، وَهُوَ الْآنَ سَيَتَسَلَّقُهُ وَيَحُلُّ سِرَّهُ الْغَامِضَ . وَعَلَى
الرَّعْمِ مِنْ شَجَاعَتِهِ كَانَ قَلْبُهُ يَدُقُّ بِعَنْفٍ . إِنَّ عَلَيْهِ الْآنَ أَنْ يَعْرِفَ
سِرَّ مَخَافِ الْيَوْمِ السَّابِقِ ، وَإِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَسَلَّقَ الْجِدَارَ ؛ لِأَنَّهُ لَنْ
يَسْتَمْتَعَ أَلْبَتَّةَ بِمَشَاهِدِ التَّلَالِ الْبَدِيعَةِ إِذَا هُوَ قَرَّ هَارِبًا . وَفَجْأَةً أَبْطَأَتْ
خُطُوَاتُهُ ثُمَّ تَوَقَّفَ ، وَكَانَ رَأْسُهُ ثَابِتًا ، يَدُّ أَنْ عَيْنَيْهِ كَانَتَا لَا تَكْفَانِ
عَنِ الْحَرَكَةِ مِنْ جَانِبٍ لِآخَرَ ، فَلَقَدْ تَحَرَّكَ شَيْءٌ مَا خَلْفَ ذَلِكَ
الْجِدَارِ ، وَطَرَقَ سَمْعُهُ بَعْضُ الْأَصْوَاتِ . لَا بُدَّ إِذَا أَنْ يَكْتَشِفَ عَدُوَّهُ
الْخَفِيِّ وَعَلَيْهِ أَلَا يُيَدِّي مَخَافَةً ؛ فَوَقَّفَ هُنَالِكَ مُتَّصِبًا ثَابِتًا ،
وَوَجْهَهُ نَحْوَ الْجِدَارِ .

وَفَجْأَةً أَصَابَهُ حَجَرٌ صَغِيرٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بِقُوَّةٍ هَائِلَةٍ ، فَخَرَّ عَلَى
الْأَرْضِ دُونَ أَدْنَى صَوْتٍ . وَكَانَتْ قِمَّةُ أَوْلَدِ كَاسِلٍ هَادِئَةً وَخَالِيَةً ،
لَكِنَّ السَّيِّدَ رُوَيْسُونَ كَانَ رَاقِدًا بَلَا حَرَكَ أَمَامَ الْجِدَارِ الْمَكْسُورِ
بِالْعُشْبِ .

وَفِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِي ، وَفِي مَنْزِلِ السَّيِّدِ رُوَيْسُونَ ، رَفَعَتْ
السَّيِّدَةُ وَلَزَ سَمَاعَةُ التَّلِيفُونَ وَطَلَبَتْ مَرْكَزَ الشَّرْطَةِ وَأَبْلَغَتْهُمْ بِأَنَّ
مَخْدُومَهَا مُتَغَيِّبٌ ، وَقَالَتْ لَهُمْ : « إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ قَطُّ مِنْ قَبْلُ .
لَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ هُنَا ، فَهُوَ لَمْ يَتَمَّ فِي فِرَاسِهِ . أَجَلُ إِنِّي
خَائِفَةٌ ، وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ . أَرْجُوكُمْ أَنْ تَبْعَثُوا



بِأَحَدِ الْمُسْتُولِينَ إِلَى هُنَا فِي الْحَالِ .

وَمَا انْقَضَتْ غَيْرَ لِحَظَاتٍ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى كَانَ أَحَدُ رِجَالِ الشُّرْطَةِ يَدُقُّ الْبَابَ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ وَلِزَ : « إِنَّهُ لَيَسُرُّنِي مَجِئُكَ . أَلَمْ يَنْظُرْ عَلَى هَذَا . »
قَالَتْ ذَلِكَ وَهِيَ تَصْطَحِبُ رَجُلَ الشُّرْطَةِ إِلَى عُرْفَةِ جُلُوسِ السَّيِّدِ رُونِسُونِ ، فَأَرَتْهُ الْأَوْرَاقَ الَّتِي كَانَ السَّيِّدُ رُونِسُونُ قَدْ تَرَكَهَا عَلَى مَكْتَبِهِ .

وَبَدَأَ رَجُلُ الشُّرْطَةِ يَقْرَأُ مَا كَتَبَهُ السَّيِّدُ رُونِسُونُ عَلَى مَهْلٍ وَبِعَيْنَانِهِ تَامَةً ، ثُمَّ وَضَعَ تِلْكَ الْأَوْرَاقَ فِي جَيْبِهِ قَائِلًا : « لَا بُدَّ أَنْ أُحْفِظَ بِهَذِهِ الْأَوْرَاقِ . هَلْ رَأَيْتَهُ بِالْأَمْسِ ؟ »

أَجَابَتْهُ السَّيِّدَةُ وَلِزَ : « نَعَمْ . » ثُمَّ أَرَدَتْ قَائِلَةً : « وَلَكِنْ لِيُضَعِ دَقَائِقَ فَقَطْ ، إِذْ إِنَّهُ غَادَرَ الْمَنْزَلَ مُبَكَّرًا جِدًّا ، وَكُنْتُ أَعْسِلُ أَطْبَاقَ إِفْطَارِهِ عِنْدَمَا غَادَرَ الْبَيْتَ . »

« هَلْ كَانَ عَلَى مَا يُرَامُ ؟ »

« نَعَمْ ، بَلْ كَانَ أَكْثَرَ هُدُوءًا مِنَ الْمَعْتَادِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَرِيضًا . »

« هَلْ أَخْبَرَكَ إِلَى آيْنٍ كَانَ ذَاهِبًا ؟ »

« قَالَ إِنَّهُ كَانَ ذَاهِبًا لِلتَّرِيضِ بَيْنَ التَّلَالِ . »

أَوَّمَا رَجُلُ الشُّرْطَةِ قَائِلًا : « فِي التَّلَالِ ؟ لَيْسَ فِي ذَلِكَ غَرَابَةٌ . هَلْ قَالَ لَكَ شَيْئًا عَنْ مَكَانِ اسْمِهِ تِلْ أَوْلَدَ كَاسِلِ ؟ »

« لَا ، لَمْ يَفْعَلْ . »

وَوَضَعَ الشُّرْطِيُّ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ وَتَحَسَّسَ التَّقْرِيرَ الَّذِي كَانَ السَّيِّدُ رُونِسُونُ قَدْ تَرَكَهُ عَلَى مَكْتَبِهِ ، وَقَالَ : « حَسَنٌ . إِنِّي ذَاهِبٌ لِلْبَحْثِ عَنْهُ فَوْقَ تِلْ أَوْلَدِ كَاسِلِ . مَسْكِينُ السَّيِّدِ رُونِسُونِ ! لَقَدْ خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنْ عَدُوًّا يَتَرَبَّصُ بِهِ هُنَاكَ . وَيُؤَسِّفُنِي أَنْ يَكُونَ قَدْ عَثَرَ عَلَيْهِ . »

وَبَعْدَ حَوَالِي السَّاعَةِ كَانَ الشُّرْطِيُّ وَاحِدُ الْمَخْبِرِينَ السَّرِيِّينَ قَدْ عَثَرَ عَلَى جُثَّةِ السَّيِّدِ رُونِسُونِ مُلْقَاةً أَمَامَ الْجِدَارِ فَوْقَ تِلْ أَوْلَدِ كَاسِلِ .

قَالَ الشُّرْطِيُّ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى وَجْهِ الْقَتِيلِ : « أَنْظُرْ إِلَى هَذَا . إِنَّهُ لِأَمْرٍ مَرُوعٍ ! تَرَى مَنْ ذَا الَّذِي فَعَلَ هَذَا بِهِ ؟ »

أَجَابَهُ الْمَخْبِرُ : « لَا أَعْرِفُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي أَعْرِفُ مَا فَعَلَهُ الْقَاتِلُ . » ثُمَّ رَكَعَ بِجَانِبِ الْجُثَّةِ وَأَشَارَ إِلَى حَجَرٍ مُسْتَدِيرٍ كَانَ مُلْقَى عَلَى الْعُشْبِ بِجَانِبِ رَأْسِ الْقَتِيلِ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ مِنْ جَيْبِهِ مِندِيلًا التَّقَطَّ بِهِ الْحَجَرُ ، وَقَالَ :

« وَالْآنَ عَلَيْنَا أَنْ نَفْتِشَ قِمَّةَ التِّلْ . لَقَدْ كَانَ هُنَاكَ بِالْأَمْسِ
شَخْصٌ مَا يَتَرَبَّصُ بِالسَّيِّدِ رُونْسُون ، وَلَا يُدَّ أَنْ تَكُونَ ثَمَّةَ آثَارٍ عَلَى
العُشْبِ ، فَأَبْحَثْ جَيِّدًا عَنْ آيَةِ آثَارٍ لِأَقْدَامِ . أَنْتَ تَفْتِشُ الْجَانِبَ
الْأَيْمَنَ وَأَنَا أَبْحَثُ فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرَ . وَلَنْهَتُمْ بِوَجْهِ خَاصٍّ بِالْمَكَانِ
الْقَرِيبِ مِنَ الْحَائِطِ ؛ إِذْ مِنَ الْمَحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ الْقَاتِلُ قَدْ اخْتَبَأَ
هُنَاكَ ، فَأَبْحَثْ عَنْ آثَارِ أَقْدَامِ تَهْدِي إِلَيْهِ . »

وَقَضِيَا أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ فِي تَفْتِيشِ تِلْ أَوْلَدِ كَاسِلِ ، وَلَكِنْ بَدُونَ
جَدَّوْ . كَانَتْ آثَارُ أَقْدَامِ السَّيِّدِ رُونْسُون وَاضِحَةً ، وَكَانَتْ تُؤَدِّي ،
مِنْ جَانِبِ قِمَّةِ التِّلْ الْمَوَاجِهِ لِدَنْبُول ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَرْقُدُ فِيهِ
الْجُثْمَانُ ، وَلَا تَوَجَدُ آثَارُ أَقْدَامِ خِلَافَ ذَلِكَ .

قَالَ الْمُخْبِرُ : « إِذَا فَهَذَا كُلُّ مَا هُنَاكَ . لَا شَيْءَ إِلَّا رَجُلًا قَتِيلًا ،
وَالْحَجَرُ الَّذِي أَوْدَى بِحَيَاتِهِ . يَجِبُ عَلَيْكَ الْعَوْدَةُ إِلَى مَرْكَزِ شُرْطَةِ
دَنْبُول ، فَإِنَّا نَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يُسَاعِدُنَا فِي نَقْلِ الْجُثَّةِ إِلَى الطَّرِيقِ . »

وَأَشْعَلَ الْمُخْبِرُ السَّرِّيَّ سِجَارَةً ، وَهُوَ جَالِسٌ يَتَرَقَّبُ عَلَى قِمَّةِ التِّلْ
الْمُشْمِسَةِ ، وَنَظَرَ إِلَى جُثَّةِ السَّيِّدِ رُونْسُون وَ إِلَى الْجِدَارِ الْمَكْسُورِ
بِالْعُشْبِ . كَانَ يَوْمًا رَبِيعِيًّا دَافِئًا ، غَيْرَ أَنَّهُ شَعَرَ فَجْأَةً بِالْبُرُودَةِ ،
فَنَهَضَ وَأَلْقَى بِالسِّجَارَةِ بَعِيدًا ، وَقَدْ اضْطَرَبَّتْ أَفْكَارُهُ .

قَالَ لِنَفْسِهِ : « قَتِيلٌ وَحَجَرٌ صَغِيرٌ مُسْتَدِيرٌ وَلَا شَيْءَ خِلَافَ
ذَلِكَ . لَقَدْ ارْتَكَبَ الْقَاتِلُ الْجَرِيمَةَ هُنَا عَلَى قِمَّةِ هَذَا التِّلْ ، ثُمَّ
اخْتَفَى ، وَمَا مِنْ آثَارِ أَقْدَامٍ أَوْ عَلَامَةٍ ، أَوْ أَيِّ شَيْءٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَقُودَنِي
إِلَيْهِ . » وَنَظَرَ أَسْفَلَ التِّلْ ، فَأَحَسَّ بِالْغِطَّةِ إِذْ وَجَدَ أَشْخَاصًا بِصُعْدُونَ
التِّلْ . وَكَانَ قَدْ مَرَّ عَلَيْهِ وَقْتُ طَوِيلٍ وَهُوَ وَحْدَهُ فَوْقَ قِمَّةِ تِلْ
أَوْلَدِ كَاسِلِ مِمَّا جَعَلَهُ يَشْعُرُ بِالْخَوْفِ .

وَبَعْدَ مُضِيِّ بَضْعَةِ أَيَّامٍ قَامَ الْمُخْبِرُ بِزِيَارَةِ لِمَكْتَبَةِ أوكْسْمِينِسْتَر ،
وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ غَيْرُ بَعِيدَةٍ عَنْ دَنْبُول ، وَطَلَبَ مُقَابَلَةَ مُدِيرِ
الْمَكْتَبَةِ ، وَسَأَلَهُ : « مَا الَّذِي تَعْرِفُهُ عَنْ تِلْ أَوْلَدِ كَاسِلِ ؟ »

أَجَابَهُ مُدِيرُ الْمَكْتَبَةِ : « لَقَدْ كَانَ مَكَانًا مُهِمًّا قَبْلَ سِنِينَ خَلَتْ . »

قَالَ الْمُخْبِرُ السَّرِّيُّ : « مُهِمًّا ؟! أَتَقُولُ إِنَّ تِلْ أَوْلَدِ كَاسِلِ كَانَ
مَكَانًا مُهِمًّا ؟! »

أَجَابَ الْآخَرُ : « لَا تَذْهَشْ ! إِنِّي أَتَحَدَّثُ عَنْ السُّكَّانِ الْقُدَامَى
الَّذِينَ عَاشُوا هُنَاكَ مِنْذُ أَكْثَرِ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ ، وَقَدْ كَانُوا هُنَاكَ قَبْلَ أَنْ
تُصْبِحَ مَدِينَتَا أوكْسْمِينِسْتَر وَ دَنْبُولُ مَأْهُولَتَيْنِ بِوَقْتِ طَوِيلٍ . وَلَمْ يَكُنْ
ثَمَّةَ أَحَدٍ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ هَاتَيْنِ الْمَدِينَتَيْنِ . وَقَدْ بَنَى السُّكَّانُ الْقُدَامَى
الْجِدَارَ الْمَوْجُودَ فَوْقَ قِمَّةِ التِّلْ ، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ الْجِدَارِ كَانُوا يَرُدُّونَ

عَلَى أَعْقَابِهِمْ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ قَدْ تَسَوَّلَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ تَسَلُّوا ذَلِكَ
التَّلُّ .

قَالَ الْمُخْبِرُ بِطَرَفٍ : « فَهَمْتُ . » ثُمَّ وَضَعَ حَجَرًا صَغِيرًا مُسْتَدِيرًا
عَلَى مِنْضَدَةِ الْمَكْتَبَةِ مُسْتَفْسِرًا : « مَا الَّذِي عِنْدَكَ لِتَقُولَهُ لِي عَنْ
هَذَا ؟ »

التَّقَطُّهُ مُدِيرُ الْمَكْتَبَةِ وَأَنْعَمَ فِيهِ النَّظَرُ وَقَالَ : « لَقَدْ وَجَدْتُهُ طَبْعًا
فَوْقَ تَلٍّ أَوْلَدَ كَاسِلٍ . »

« أَجَلٌ ، وَلَكِنْ كَيْفَ عَرَفْتَ ؟ »

« لَقَدْ عَثِرْتُ عَلَى بَضْعَةٍ حِجَارَةٍ مُشَابِهَةٍ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنْذُ مِئَةِ
عَامٍ ، فَحَمَلْتُ إِلَى مُتَحَفٍ أَوْ كَسَمِينِسْتَرٍ ؛ فَإِنْ ذَهَبْتَ إِلَى الْمُتَحَفِ
فَإِنَّهُمْ سَيَطْلِعُونَكَ عَلَيْهَا . وَأَفْضَلُ أَنْ تَأْخُذَ مَعَكَ هَذَا الْحَجَرَ فَتَسُوفَ
يَسُرُّهُمْ الْحُصُولُ عَلَيْهِ . »

قَالَ الْمُخْبِرُ السَّرِيُّ : « لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ هَذَا ، وَلَكِنْ لِمَ كَانَ
هَذَا الْحَجَرُ بِمِثْلِ تِلْكَ الْأَهَمِّيَّةِ ؟ »

أَجَابَ مُدِيرُ الْمَكْتَبَةِ : « لِأَنَّهُ كَانَ مِلْكَاً لِلْمُسْكَنِ الْقُدَامِيِّ ، وَقَدْ
كَانَ مُحَارِبُوهُمْ يُقَاتِلُونَ بِهِذِهِ الْحِجَارَةَ فَتُصِيبُ فِي الصُّمِيمِ . لَقَدْ

كَانَتْ كَالرُّصَاصِ فِي خُطُورَتِهَا . وَقَدْ قُتِلَ كَثِيرٌ مِنَ الرُّجَالِ فِي
الْأَيَّامِ الْخَوَالِي بِإِصَابَتِهِمْ بِحِجَارَةٍ كَهَذِهِ فِي رُؤُوسِهِمْ عَلَى تَلٍّ أَوْلَدَ
كَاسِلٍ !

لَمْ يَنْبَسِ الْمُخْبِرُ بِشَيْءٍ شَفَةٍ وَإِنَّمَا انْتَصَبَ وَاقِفًا وَأَعَادَ الْحَجَرَ إِلَى
جَيْبِهِ .

سَأَلَهُ مُدِيرُ الْمَكْتَبَةِ : « أَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَطَعْتُ مُسَاعَدَتَكَ ؟ »

قَالَ الْمُخْبِرُ السَّرِيُّ : « لَقَدْ كَانَ مَا قُلْتَهُ لِي مُشِيرًا لِلْإِهْتِمَامِ ،
لَكِنَّكَ لِلْأَسَفِ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى حَلِّ رُمُوزِ الْمَشْكِلَةِ الَّتِي جِئْتُ بِهَا ؛
فَإِنِّي رَجُلٌ شَرْطِيَّةٌ أَبْحَثُ عَنْ قَاتِلِ ، وَوَاجِبِي أَنْ أَعْتَرَّ عَلَيْهِ وَلَا
أَسْتَطِيعُ الظَّنَّ بِأَنْ قَاتِلَ السَّيِّدِ رُونِسُونِ قَدْ مَاتَ مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ
سَنَةٍ مَضَتْ ! »

الغُرْفَةُ رَقْمُ ٧

لَمْ أَطْلِعْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ عَلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ ؛ إِذْ لَمْ أُسْتَطِعْ حَلَّ مَا فِيهَا مِنْ طَلَايِمٍ ، وَظَنَنْتُ أَنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَدِّقَنِي . أَمَّا الْآنَ فَلَا يَعْينُنِي كَثِيرًا إِذَا لَمْ يُصَدِّقَنِي أَحَدٌ . إِنَّ مَا أُرْوِيهِ لَهُوَ قِصَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ . وَلَعَلَّكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِالْأَشْبَاحِ . وَأَنَا لَسْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنِّي أَوْمِنُ بِهَا ، كَذَلِكَ لَسْتُ مُتَّكَدًا مِنْ أَنِّي رَأَيْتُ شَيْحًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَإِذَا لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُ شَيْحًا فَلَسْتُ أَدْرِي مَا الَّذِي رَأَيْتُهُ .

كُنْتُ مُسَافِرًا فِي رَحْلَةٍ عَمَلٍ إِلَى شِمَالِ إِنْجِلْتِرَا ، وَكُنْتُ فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ . وَأَنَا أَسْكُنُ قَرِيبًا مِنْ لَنْدَنَ ، وَكُنَّا فِي فِصْلِ الشِّتَاءِ وَكَانَ الْجَوُّ رَدِيئًا . وَبَدَأَتْ رَحْلَةُ الْعُودَةِ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ ، لَكِنِّي لَمْ أُسْتَطِعِ الْإِسْرَاعَ ، فَقَدْ كَانَتِ الطَّرِيقَاتُ مَغْطَاةً بِالتَّلْجِ ؛ وَلِذَا كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَقُودَ السَّيَّارَةَ عَلَى مَهَلٍ وَبِحَرَصٍ . فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ كُنْتُ لَا أَزَالُ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ مِنْ بَيْتِي ، وَإِذَا بِمَصَابِيحِ سَيَّارَتِي تَخْبُو .

وَكَانَ مِنَ الْخَطُورَةِ الشَّدِيدَةِ الْبَقَاءُ عَلَى الطَّرِيقِ الرَّئِيسِيِّ ؛ فَقَدْ
كَانَتِ السَّيَّارَاتُ عَلَيْهِ كَثِيرَةً ، وَلِذَا تَحَوَّلَتْ إِلَى طَرِيقٍ رَيفِيٍّ هَادِيٍّ
فِي أَوَّلِ فُرْصَةٍ لَاحَتْ لَهَا .

وَبَعْدَ بَضْعَةِ كِيلُومِثْرَاتٍ شَاهَدَتْ لَاقِئَةً مَكْتُوبًا عَلَيْهَا « مِلْهَام » .
وَبَعْدَ ذَلِكَ بِخَمْسِ دَقَائِقَ كُنْتُ أَقُودُ سَيَّارَتِي فِي شَارِعٍ ضَيِّقٍ
مَخْضُوفٍ بِالنُّيُوتِ عَلَى كِلَا حَايِيَّتَيْهِ ، وَكَانَ الْمَكَانُ يُشْعِرُ بِالْأَلْفَةِ .
وَكَانَ هُنَاكَ بِضْعَةُ حَوَانِيتٍ قَدْ نَاقَتْ فِيهَا الصَّبَاءُ . كَمَا رَأَيْتُ جَرَّاحًا
فِي أَحْرِ الشَّارِعِ ، حَيْثُ تَوَقَّفْتُ وَأَقْضَيْتُ بِمُشْكِلَتِي لِعَامِلِ الْجَرَّاحِ ،
الَّذِي أَلْقَى نَظْرَةً عَلَى أَصْوَاءِ سَيَّارَتِي ، ثُمَّ تَفَحَّصَ الْمَحْرُوكَ وَهَرَّ رَأْسُهُ
قَدْلًا : « إِنَّ مُوَلَّدَ الْكَهْرَبَاءِ مَكْسُورٌ ، وَسَأَصْدِيقُكَ لَكَ فِي الصَّبَاحِ
لَكِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ قِيَادَةَ السَّيَّارَةِ اللَّيْلَةَ ؛ فَلَيْسَ هَذَا بِمَأْمُورٍ الْعَاقِبَةُ ،

سَأَلْتُهُ : « هَلْ يَوْجَدُ قُدُّوقٌ فِي مِلْهَام ؟ »

أَجَابَ : « أَحَلَّ هُنَاكَ قُدُّوقٌ « الْحَدْيِي » فِي بَهَايَةِ هَذَا الشَّارِعِ ،
وَقَدْ مَرَرْتُ بِهِ لِتَوَكُّؤِكَ وَأَطْنُ أَنْتَ سَتَجِدُ سَرِيرًا هُنَاكَ ، فَالْزَوَّارُ فِي
مِلْهَام لَا يَكْثُرُونَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ . أَخِيرَ السَّيِّدِ رِيْتَشَارْدَرْ أَنِّي أَصْلَحُ
لَكَ مُحْرَكَ سَيَّارَتِكَ وَسَوْفَ يَبْدَأُ لَكَ أَقْصَى مَا فِي وَسْعِهِ »

شَكَرْتُهُ ثُمَّ أَخَذْتُ حَقِيسَتِي مِنَ السَّيَّارَةِ ، وَسِيرْتُ عَائِدًا فِي الشَّارِعِ

سَيِّدِي قُدُّوقٌ الْحَدْيِي ، وَهُوَ مَنِّي قَدِيمٌ . وَقَدْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرَى مِنْ
جَلَالِ النَّاظِفَةِ أَنَّ هُنَاكَ نَارًا فِي عُرْقَةِ الطَّلْعَامِ تَنْعُتُ السَّهْجَةَ فِي
الْمَسَاءِ . وَكَانَ مَكْتَبُ الْقُدُّوقِ يَقَعُ حُلْفَ الدَّابِّ الْأَمَمِيِّ ، فَصَعَطْتُ
بِالْحَرَسِ الْمَوْحُودِ عَلَى الْمَكْتَبِ ؛ فَصَهَرَ مِنْ حَلَالِ بَابٍ فِي مُؤَخَّرَةِ
مَكْتَبِ رَجُلٍ صَحْبَةٍ كَانَتْ فِي إِحْدَى يَدَيْهِ قِطْعَةً قُمَاشٍ ، وَفِي
الْأُخْرَى كَبْرَى مِنْ عَصَا الرُّتْقَالِ مَحْلُوءَةٌ حَتَّى يَصْفُهَا . وَتَسَمَّى فِي
مَوَدَّةٍ .

سَأَلْتُهُ : « السَّيِّدُ رِيْتَشَارْدَرْ ؟ »

بَصَعَ كَأْسَ الْعَصِيرِ عَلَى الْمَكْتَبِ وَجَابَ « نَعَمْ ، يُنِي هُوَ
هَلْ مِنْ خِدْمَةٍ أَؤَدِّيهَا لَكَ ؟ »

خَرَّجْتُ أَنْ مَسَرَسِي فِي الْجَرَّاحِ ، وَنَسِيْتُ ائْتِيَا إِلَى وَحْدَةِ عَشَاءٍ
وَعُرْقَةٍ أَقْضِي فِيهَا اللَّيْلَةَ .

فَلَمَّا لَرَجُلٍ « الطَّلْعَامُ نِيْسٌ بِمُشْكِلَةٍ ، وَسَوْفَ يَكُونُ الْعَشَاءُ
حَاضِرًا فِي عَصْرِ سَاعَةٍ ، ثُمَّ انْصَعُوبُهُ فَمَنْ تَدْبِيرُ الْعُرْقَةَ هَذَا
الْمَكَانُ مَعَهُ كَمَا بَرَى ، وَلَيْسَ عَيْنُنَا سِوَى سِتِّ عُرْفٍ لِلنُّوْمِ ،
وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يَجِدُ هَذَا الْقُدُّوقَ مَشْغُولًا كُلَّهُ فِي

وَهَمَمْتُ بِأَنْ أَسْأَلَهُ عَنْ حَلِّ لِهَذِهِ الْمَشْكِلَةِ ، وَإِذَا بِي أَجِدُ الْبَابَ
قَدْ فُتِحَ ثَانِيَةً ، وَوَلَجْتُ مِنْهُ سَيِّدَةً صَنِيلَةً الْجِسْمِ إِلَى الْغُرْفَةِ مُسْرِعَةً .

وَقَدَّمَهَا إِلَيَّ السَّيِّدُ رِيْتَشَارْدِرَ قَائِلًا : « هِدِي رَوْحِي » . ثُمَّ انْفَتَحَ
إِلَيْهَا وَقَالَ : « كُنْتُ أَقُولُ لِهَذَا السَّيِّدِ إِنَّهُ لَا تَوْحِدُ غُرْفَةً خَالِيَةً اللَّيْلَةَ
يَا لِير . إِنَّ سَيَّارَتَهُ فِي الْحَرَّاحِ لِلِإِصْلَاحِ ، وَهُوَ يُرِيدُ طَعَامًا وَغُرْفَةً
يَقْضِي فِيهَا لَيْلَتَهُ » .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ : « تَوْجَدُ الْغُرْفَةَ رَقْمُ ٧ ، يَا تَوْم » .

« لَكِنَّا لَسْنَا ... » وَلَمْ يَتِمَّ كَلَامُهُ ، بَلْ رَفَعَ كَأْسَ الْعَصِيرِ وَرَاحَ
يَحْتَسِيهِ عَلَى مَهَلٍ وَهُوَ يُصْغِي لِامْرَأَتِهِ .

قَالَتْ : « إِنَّا لَا سَتُصِغُّ أَنْ نَرُدَّ سَيِّدًا فِي لَيْلَةٍ كَهَذِهِ . إِنِّي سَأَعِدُّ
الْفِرَاشَ فِي الْغُرْفَةِ رَقْمُ ٧ » .

« إِنِّي جِدْتُ آسِفَ لِإِزْعَاجِكُمْ » .

« لَا إِزْعَاجَ يَا سَيِّد ... ؟ »

أَجَبَتْهَا : « سُونْدِرُز . اسْمِي جُونُ سُونْدِرُز » .

« لَا إِزْعَاجَ يَا سَيِّدُ سُونْدِرُز . كُلُّ مَا هُنَالِكَ أَنَا لَا نَسْتَعْمِلُ

الْغُرْفَةَ رَقْمُ ٧ كَثِيرًا . وَتَسْكُونُ مُسْتَرِيحًا فِيهَا ؛ إِذْ لَا يَعْصِيهَا شَيْءٌ » .
قَالَتْ ذَلِكَ ، وَرَمَقَتْ زَوْجَهَا بِطَرَّةٍ ؛ فَلَمْ يَغْتَرِصْ عَنَى كَلَامِهَا

قَالَ : « هَلُمَّ يَا سَيِّدُ سُونْدِرُز وَخُذْ كَأْسًا مِنْ عَصِيرِهَا اللَّذِيذِ .
الَّذِي لَنْ تَحْدُ أَدَاً أَفْضَلَ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْمُنْطَقَةِ . اتْرُكْ حَقِيقَتَكَ هُنَا
فِي الْمَكْتَبِ إِلَى أَنْ تُعَدَّ لَكَ غُرْفَتُكَ » .

وَتَقَدَّمَنِي الرَّحْلُ إِلَى بَهْوِ الْفُنْدُقِ ، وَهُوَ غُرْفَةٌ لَطِيفَةٌ دَافِئَةٌ احْتَمَعَ
فِيهَا الْقَوْمُ يَشْرَبُونَ الشَّايَ وَيَتَحَادَثُونَ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ . وَهُنَاكَ قَابَلْتُ
بَعْضَ الثَّرَلَاءِ وَبَعْضَ سُكَّانِ مِلْهَامِ الَّذِينَ كَانُوا يَشْرَبُونَ الشَّايَ ،
فَشَعَرْتُ بِالرَّاحَةِ وَالسَّعَادَةِ حَاصَّةً عِنْدَمَا وَصَعَ السَّيِّدُ رِيْتَشَارْدِرَ كَأْسًا
كَبِيرَةً مِنَ الْعَصِيرِ الشَّهِيرِ أَمَامِي وَقَدْ كَانَ صَادِقًا ، إِذْ كَانَ شَرَابًا
لَذِيذًا إِلَى حَدِّ أَنْ يَأْسِفْتُ عِنْدَمَا أَخْبَرُونِي أَنَّ غُرْفَتِي قَدْ أُصْحَتْ
جَاهِزَةً .

وَاتَّصَلْتُ بِزَوْجَتِي تَلِفُونِيًّا مِنَ الْفُنْدُقِ ، وَأَحْرَثْتُهَا بِكُلِّ مَا
حَدَّثَ ، وَبَعَثَوَابِ الْفُنْدُقِ الَّذِي أَتَرُلُ فِيهِ ، وَبَاسِي سَأَكُونُ مَعَهَا فِي
الْيَوْمِ التَّالِيِ عَلَى الْعَدَاءِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ التَّقَطُّتُ حَقِيقَتِي وَبِمَمَّتْ سَطْرَ
الْغُرْفَةِ رَقْمُ ٧ ، وَكَانَتْ بِالطَّائِقِ الْعُلُويِّ فَوْقَ كُلِّ غُرْفِ الْيَوْمِ
الْأُخْرَى . وَكَانَتْ بَارِدَةً إِلَى حَدِّ مَا ، إِلَّا أَنَّ السَّيِّدَةَ لِيرَ كَانَتْ قَدْ
أَشْعَلَتْ الْمِدْفَاقَ الْكَهْرِبَائِيَّةَ .

قُلْتُ لِنَفْسِي : « سَوْفَ تُصَحُّ الْعُرْقَةُ عَمَّا قَلِيلٍ دَافِقَةً إِنْ اسْكُونِ جَمِيلًا هَذَا ، وَسَوْفَ أَنَامُ اللَّيْلَةَ نَوْمًا عَمِيقًا . »

لَمْ تَكُنْ عُرْقَةُ كَبِيرَةً ، وَكَانَتْ تَتَّسِعُ لِسَرِيرِي وَخِزَانَةِ مَلَابِسِي وَخَوْصَ اغْتِسَالِي خَلْفَ الْبَابِ . وَبَيْنَ الْخَوْصِ وَخِزَانَةِ الْمَلَابِسِ كَانَ ثَمَّةَ كُرْسِيٍّ كَبِيرٍ مُسْتَقِيمٍ الظَّهْرِ مُسَدَّدٍ إِلَى الْجِدَارِ . كَانَ هَذَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَلَكِنَّ الْعُرْقَةَ كَانَتْ نَظِيفَةً ، وَكُنْتُ مُسَرَّورًا بِهَا . ثُمَّ فَتَحْتُ حَقِيبتِي ، وَاعْتَسَلْتُ ثُمَّ هَبَطْتُ لِتَنَاوُلِ الْعِشَاءِ .

وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ لَيْز طَاهِيَةً مَاهِرَةً مِمَّا جَعَلَنِي أُسْتَمْتِعُ بِالطَّعَامِ . وَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ طَعَامِي عُدْتُ إِلَى الْبَهْوِ ، وَرَحْتُ أَتَجَادِبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ مَعَ السَّيِّدِ رِيثَارْدِز وَبَعْضِ أَصْحَابِهِ حَتَّى شَعَرْتُ بِالنَّعَاسِ .

قُلْتُ : « أَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ الْأَفْضَلِ الذَّهَابُ إِلَى الْفِرَاشِ الْآنَ . هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ أَتَاوَلَ بِطَارِي مُبَكَّرًا ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْدَأَ رَحَلَتِي حَالَمَا نَكُونُ سَيَّارَتِي جَاهِزَةً . »

« أَتُنَاسِبُكَ السَّاعَةُ الثَّامِنَةُ ؟ »

« أَجَلٌ ، شُكْرًا لَكَ . وَاعْتَقِدْ أَنَّ مَوْلَدَ الْكَهْرَبَاءِ لَنْ يَتِمَّ إِصْلَاحُهُ قَبْلَ التَّاسِعَةِ . »

« طَابَتْ لَيْلَتُكَ إِذَا يَا سَيِّدُ سَوْنْدِرِز ، وَأَرْجُو لَكَ نَوْمًا هَادِئًا . »

« سَوْفَ أَنَامُ نَوْمًا هَادِئًا بِالتَّأَكِيدِ . طَابَتْ لَيْلَتُكَ ، وَشُكْرًا لَكَ عَلَى هَذِهِ الْأَمْسِيَةِ اللَّطِيفَةِ . »

كَانَتْ الْعُرْقَةُ دَافِقَةً فَأَطْفَأْتُ الْمِدْفَأَةَ ، وَتَمَدَّدْتُ فِي الْفِرَاشِ وَأَنَا أَحْسَنُ بِالرَّاحَةِ . وَشَرَعْتُ فِي الْقِرَاءَةِ ، إِلَّا أَنِّي وَحَدْتُ صُعُوبَةً فِي فَتْحِ عَيْنِي ، فَأَطْفَأْتُ النُّورَ وَرَحْتُ فِي مِثَابٍ عَمِيقٍ .

لَا أَذْرِي كَمْ مِنْ الْوَقْتِ نِمْتُ ، إِلَّا أَنَّ شَيْئًا مَا أَيقَظَنِي مِنْ نَوْمِي . وَالَّذِي أَعْرِفُهُ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ آيَةٍ ضَجَّةٍ ، بَلْ كَانَتْ الْعُرْقَةُ هَادِئَةً تَمَامًا ، وَلَكِنَّ شَيْئًا غَرِيبًا كَانَ يَحْدُثُ ! وَلَمْ يَكُنْ الْمِصْبَاحُ الَّذِي بِجَانِبِ السَّرِيرِ مُصَاءً ، غَيْرَ أَنَّ الْعُرْقَةَ كَانَتْ أَحَدَةً فِي الْإِضَاءَةِ شَيْئًا فَشَيْئًا ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَى كَانَ جُزْءٌ مِنَ الْعُرْقَةِ أَحَدًا فِي الْإِضَاءَةِ ، وَكَانَ فِرَاشِي فِي الْجَانِبِ الْمُظْلِمِ . كَذَلِكَ لَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ أَرَى حِرَاءَةَ الْمَلَابِسِ أَوْ خَوْصَ الْاِغْتِسَالِ ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أُسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ الْكُرْسِيِّ الْكَبِيرِ الَّذِي بَيْنَهُمَا . وَكُنْتُ أُسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ مَكَانِ انْجُلُوسِ فِيهِ ، وَكَذَلِكَ ذِرَاعِيهِ وَآرْجُلِيهِ وَظَهْرَهُ الطَّوِيلَ الْمُسْتَقِيمَ بِمُنْتَهَى الْوُضُوحِ ، وَكَانَ يَتَأَلَّقُ أَمَامِي فِي قَلْبِ الظَّلَامِ .

صَنَعْتُ حَصِيَّ بِإِحْكَامٍ ، وَلَمْ أَشْعُرْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ بِأَدْنَى شُعُورٍ
بِالْخَوْفِ ، إِلَّا أَنَّ الْخَوْفَ حَاءٌ نَعْدُ ذَلِكَ . لَا ، لَمْ أَكُنْ حَائِئاً ،
كَسَيِّ كُنْتُ أَرِيدُ أَنْ أَفَكِّرَ ، وَرَعَيْتُ فِي أَنْ أَطْفِيءَ ذَلِكَ النُّصُوءَ
الْعَرِيبَ ، وَأَنْ أَسْتَوْصِحَ الْأُمُورَ . لَا يُمَكِّنُ أَنْ أَكُونَ قَدْ رَأَيْتُ
الْخُرْسِيَّ حَقًّا ، فَقَدْ كَانَتْ بَقِيَّةُ الْعُرْفَةِ يَعْمرُهَا الْإِطْلَامُ ! لَقَدْ كُنْتُ
أَحْلَمُ ، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ ! وَهَذَا الَّذِي رَأَيْتُهُ لَيْسَ سِوَى حُلْمٍ وَمِنْ
بِهِ فَرَرْتُ أَنْ أَعُدَّ بِطُءٍ حَتَّى الْعَدَدُ خَمْسِينَ فَلَمَّا بَلَغْتُ ذَلِكَ
الْعَدَدَ كُنْتُ أَوْشِكُ أَنْ أَفْتَحَ عَيْنَيَّ . وَشَعَرْتُ بِأَنَّ الْفُرْقَةَ آخِذَةً فِي
الْإِطْلَامِ . نَعَمْ آخِذَةً فِي الْإِطْلَامِ .

« أَرْبَعُونَ ، وَاحِدَةً وَأَرْبَعُونَ .. » كُنْتُ فِي الْوَقْعِ أَعُدُّ بِطُءٍ شَدِيدٍ
عِنْدَمَا سَمِعْتُ جَلِيَّةً كَانَتْ ثَمَّةَ شَخْصٍ يَنْفَسُ فِي الْعُرْفَةِ وَرَقَدْتُ
سَاكِئاً ، وَرُحْتُ أَنْصَبْتُ . أَجَلُ ، رُحْتُ أَنْصَبْتُ بِأَشْيَاءٍ شَدِيدٍ وَكَانَ
النَّفْسُ مُسْتَمِرّاً : شَهِيقٌ ، رَفِيرٌ ، شَهِيقٌ ، رَفِيرٌ ، شَهِيقٌ ، رَفِيرٌ ، وَلَمْ
يَكُنْ هَذَا حُلْماً ، أَوْ يَكُونُ لَصّاً ؟

وَفَتَحْتُ عَيْنَيَّ ، وَكُنْتُ لَا أَرَأِي أَسْتَطِيعُ رُؤْيَا الْكُرْسِيِّ ، لَكِنْ الْآنَ
بِحُسْنِ فَوْقِهِ رَحُلٌ وَكَانَ عَجُوراً أَيْصَرَ الشَّعْرِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ
مَنْصُوباً ، وَكَانَتْ يَدَاهُ تُمْسِكَانِ بِدِرَاعِي الْكُرْسِيِّ بِشِدَّةٍ ، وَقَدْ ثَبَتَتْ
عَيْنِيهِ الزُّرْقَاوَيْنِ اللَّامِعَتَيْنِ عَلَيَّ .

وَحَاوَلْتُ الْكَلَامَ ، فَعَحَزْتُ عَنْ أَنْ أَلْطِقَ بِكَلِمَةٍ ، وَكُنْتُ أَعْرِفُ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهُ . « مَنْ أَنْتَ ؟ مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا ؟ أُحْرَجُ مِنْ عُرْقَتِي . »

وَحَاوَلْتُ الْكَلَامَ ثَانِيَةً ، وَلَكِنْ بِدُونِ حَدْوِي ؛ فَرَقَدْتُ فِي فِرَاسِي أَتَرَقَّبُ . وَحَثَّيْتُ نَفْسِي عَلَى الْأَخَافِ . فَقَدْ كَانَ الرَّحْلُ كَبِيرَ السِّنِّ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ إِيْذَانِي . وَكَانَتْ حَمَلَقَتُهُ إِلَيَّ هِيَ الَّتِي أَفْرَعَتْنِي ؛ فَقَدْ كَانَتْ عَيْنَاهُ الزُّرْقَاوَانِ ثَابِتَتَيْنِ لَا تَتَحَرَّكَانِ .

قُلْتُ لِنَفْسِي : « لَا بُدَّ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ شَيْئًا حَالًا ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَى سَيَقُولُ شَيْئًا . »

وَبَدَا وَكَأَنَّهُ سَمِعَ أَفْكَارِي ؛ فَقَدْ رَفَعَ يُسْرَاهُ وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ إِلَيَّ . وَفِي نِلْكَ اللَّحْظَةِ لَمَحْتُ فِي عَيْنَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا . وَفَجْأَةً زَابَلَنِي كُلُّ خَوْفٍ مِنْهُ ؛ فَقَدْ كَانَ يُحَاوِلُ أَنْ يُخْبِرَنِي بِشَيْءٍ ، وَعِنْدَمَا نَطَقَ كَانَ صَوْتُهُ مُجْهِدًا ، قَالَ : « لَمْ أَعْرِفِ الْأَمْرَ قَطُّ ، وَلَكِنَّكَ عَرَفْتَهُ . »

وَسَقَطَتْ يَدُهُ ، وَفَجْأَةً وَحَدَّثَنِي أَتْكَلُمُ : « مَا الَّذِي عَرَفْتَهُ ؟ مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَاذَا ... ؟ » وَاخْتَفَى الرَّجُلُ قَبْلَ أَنْ أَكْمِلَ سُؤَالِي ، وَعَمَرَ الطَّلَامُ كُلُّ شَيْءٍ .

فِي الصُّبْحِ أَقِظُنِي صَوْتُ يَقُولُ : « حَيْثُكَ بِفِنْجَانٍ مِنَ الشَّايِ

... تَنْ سُونْدِرُزْ ، وَسَوْفَ يَكُونُ إِفْطَارُكَ جَاهِزًا خِلَالَ بَصْفِ سَاعَةٍ . »
... صَاحِبُ الصَّوْتِ السَّيِّدِ رِيْشَارْدِرِ الَّذِي وَضَعَ الشَّايَ عَلَى ...
... بَحَانِبِ الْفِرَاشِ ، وَخَرَجَ مُسْرِعًا تَارِكًا إِيَّايَ لِأَفْكَارِي وَكَانَ ...
... الْكَثِيرُ الَّذِي أَفَكَّرَ فِيهِ . تُرَى أَمْ كُنْتُ قَدْ اسْتَعْرِفْتُ فِي النَّوْمِ ...
... حَالَمَا نَوَارِي ذَلِكَ الزَّائِرَ الْغَرِيبَ ؟ أَمْ تُرَانِي كُنْتُ نَائِمًا الْوَقْتَ كُلَّهُ ؟
... هَلْ كَانَ كُلُّ مَا رَأَيْتُهُ حُلْمًا ؟ هَلْ يَسْنِي أَنْ أُذْكَرَ شَيْئًا عَنْ ذَلِكَ ...
... لِلْسَّيِّدِ رِيْشَارْدِرِ وَرَوْجَتِهِ ؟ وَفَرَّرْتُ أَلَا أَقُولُ لَهُمَا شَيْئًا عَنْ زَائِرِي ...
... غَرِيبٍ . لَقَدْ كَانَا لَطِيفَيْنِ مَعِي ، وَعَمِلَا عَلَى رَاحَتِي ، فَلَيْسَ مِنْ ...
... الْإِنْصَافِ إِذَا أَنْ أَرْعِجَهُمَا يَلْعَنُ لَنْ يَسْتَطِيعَا حَلَّهُ ، وَلَكِنْ أَسْتَطِيعُ أَنْ ...
... أُلْوِمَهُمَا عَلَى ذَلِكَ .

وَعَلَى هَذَا تَنَاوَلْتُ إِفْطَارِي ، وَنَزَلْتُ إِلَى مَكْتَبِ الْفُنْدُقِ لِدَفْعِ ...
... الْحِسَابِ . وَكَانَتْ زَوْجَةُ السَّيِّدِ رِيْشَارْدِرِ تَجْلِسُ إِلَى الْمَكْتَبِ ، ...
... مُشْكِرَتَهَا عَلَى فَائِقِ عِمَائِتِهَا بِي ، فَابْتَسَمَتْ وَأَعْطَتْنِي قَائِمَةَ الْحِسَابِ ...
... مَائِلَةً : « لَقَدْ سَرَرْنَا بِوُحُودِكَ مَعَنَا يَا سَيِّدُ سُونْدِرِزْ . وَنَحْنُ جِدُّ ...
... حَرِيبَتَيْنِ عَلَى رَاحَةٍ نَزَلَانَا فِي فُنْدُقِ الْجَدْيِ . هَلْ نَعِمْتَ بِنَوْمٍ ...
... هَادِيٍّ ؟ »

كُنْتُ أَعِدُّ النَّقُودَ لِدَفْعِ الْحِسَابِ ، فَلَمَّا رَفَعْتُ رَأْسِي لِأَجِبَهَا

لَمَحَتْ صُورَةً مُعَلَّقةً عَلَى الْحِدَارِ خَلْفَهَا . وَهَالَنِي أَنَّهَا لِلشَّخْصِ
نَفْسِهِ الَّذِي كَانَ فِي غُرْفَتِي : الشَّعْرُ الْأَبْيَضُ ، وَالوَحْهَ الْحَامِدُ ،
وَالْعَيْنَانِ الزُّرْقَاوَانِ اللَّامِعَتَانِ ؛ كُلُّهَا كَانَتْ مَأْلُوفَةً لِي عَلَى حَوْ
غَرِيبٍ .

سَأَلْتُ السَّيِّدَةَ لِيْزَ وَأَنَا أَشِيرُ إِلَى الصُّورَةِ : « مَنْ هَذَا ؟ »

أَلْقَتْ بِنَظَرَةٍ عَحْلِي عَلَى الصُّورَةِ ، ثُمَّ التَفَتَتْ بِحَوِي سُرْعَةٍ
قَائِلَةً : « إِنَّهَا صُورَةُ وَالِدِ تُوْم . لَقَدْ كَانَ يَعِيشُ مَعَنَا هَاهُنَا فِي الْفُتُوقِ ،
وَقَدْ مَاتَ مُنْذُ خَمْسِ سَوَاتٍ . وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنَّهُ مَاتَ فِي الْعُرْفَةِ الَّتِي
مَتَ فِيهَا اللَّيْلَةُ الْمَاضِيَةُ ، وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّ تُوْمَ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ
أَنْ يُعْطِيَكَ الْعُرْفَةَ رَقْمَ (٧) . »

« لَكَيْتُ أَنْتَ » ثُمَّ تَوَقَّفْتُ ، فَقَدْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَنْتَقِي
الْعَاصِي بِعِيَايَةٍ ، فَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ مَبْلَغَ عِلْمِهَا بِالْأَمْرِ ، وَلَمْ أَكُنْ
أَعْرِفُ مَدَى مَا كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِهِ . وَقَبْلَ أَنْ أَتَنَاطَلَ بِكَلِمَةٍ
عَادَتْ هِيَ إِلَى الْكَلَامِ . « ثَمَّةَ حِكَايَاتٍ سَحِيفَةٍ عَنِ الْعُرْفَةِ رَقْمَ (٧)
يَا سَيِّدُ سُونْدِرُزْ ؛ فَقَدْ ذَكَرَ نَزِيلٌ أَوْ نَزِيلَانِ عَصِيَانِ إِيَّاهُمَا لَمْ يَنْعَمَا
بِالنُّوْمِ فِي تِلْكَ الْعُرْفَةِ ؛ قَالَا إِيَّاهُمَا شَعَرَا بِالْحَوَى أَتَاءَ اللَّيْلِ ،
وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَسْتَطِيعَا مَعْرِفَةَ سَبَبِ ذَلِكَ الْحَوَى ، وَقَالَا إِنَّ الْعُرْفَةَ

مَسْكُونَةٌ . وَلَمَّا كَانَ وَحُودُ شَبَحَ أَمْرًا سَيِّئًا لِلْعَايَةِ بِالسَّبَبَةِ لِفُتُوقِ ،
فَقَدْ قَرَّرَ وَالِدُ تُوْمَ أَنْ يَنَامَ هُوَ بِنَفْسِهِ فِي الْعُرْفَةِ رَقْمَ (٧) . وَلَآئِهَ لَمْ
يَكُنْ يُصَدِّقُ أَنَّهَا مَسْكُونَةٌ ، فَقَدْ قَالَ إِنَّهُ سَيَكْشِفُ حَالًا سِرًّا هَذَا
الْمَزْعَ . وَلَسْتُ أَوْمِنُ بِوَحُودِ الْأَشْبَاحِ ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ أَيْضًا يُؤْمِنُ
بِوَحُودِهَا ؛ فَصَعِدَ إِلَى الْعُرْفَةِ لِيَنَامَ فِيهَا فِي مَوْعِدِهِ الْمُعْتَادِ ، وَكَانَ فِي
حَالَتِهِ الصَّحِيَّةِ الْمُعْتَادَةِ ، وَلَكِنْ ... »

قُلْتُ : « أَجَلْ ، مَا الَّذِي حَدَثَ ؟ أَكْمَلِي حَدِيثَكَ . »

« لَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّهُ كَثِيرًا ، وَكَمْ يُخْزِنُنِي أَنْ أَتَذَكَّرَ مَا حَدَثَ !
لَقَدْ حَمَلْتُ إِلَيْهِ الشَّايَ فِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِيِ ، فَوَحَدْتُهُ مِيتًا . إِنَّهُ
لَمْ يَحْدِ الْوَقْتُ الْكَافِي لِيَحْلَعَ مَلَابِسَهُ وَيَأْوِي إِلَى الْفِرَاشِ . لَقَدْ كَانَ
حَالِسًا فِي ذَلِكَ الْكُرْسِيِّ الْكَبِيرِ وَقَدْ فَارَقَتْهُ الْحَيَاةُ . وَكَانَ بِطَبِيعَةِ
الْحَالِ رَحْلًا كَبِيرَ السِّنِّ ، وَكَانَ مُعْرِضًا لِلْمَوْتِ فِي أَيِّ وَقْتٍ ، كَمَا
حَاءَ فِي تَقْرِيرِ الطَّبِيبِ أَنَّهُ أَصِيبَ بِنَوْتَةٍ قَلْبِيَّةٍ مُفَاجِئَةٍ . »

أَخَذْتُ السَّيِّدَةَ التَّقُودَ وَأَعْطَيْتُ الْبَاقِي ، فَوَضَعْتُهُ فِي حِشِي ثُمَّ
التَفَطْتُ حَقِيقَتِي وَقُلْتُ لَهَا : « سَيِّدَةُ رِيْتَشَارْدِرْ ، أَطْنُ أَنَّهُ يَنْغِي
عَلَيْكَ ... » لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ مُنْصِتَةً إِلَيَّ ، ثُمَّ انْتَسَمَتْ لِي ابْتِسَامَةً
عَذِيبَةً ، وَقَالَتْ : « وَهَكَذَا ، يَا سَيِّدُ سُونْدِرُزْ ، كَمَا تَرَى لَمْ يُكْتَشَفْ

قَطُّ سِرِّ الْغُرْفَةِ رَقْمُ (٧) ، وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ أَيَّ إِنْسَانٍ سَيَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ،
فَإِنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا قِصَّةً سَخِيفَةً !»

وَدَعَتْهَا مُحْيِيًا . وَأَسْرَعَتْ إِلَى الشَّارِعِ مُيَمَّمًا شَطْرَ الْحَرَّاجِ .
وَحَيَّلَ إِلَيَّ أَنَّ صَوْتَ رَحُلٍ عَمُوزٍ يُلَاحِظُنِي قَائِلًا : « إِنْ لَمْ
أُكْتَشِفْ قَطُّ السِّرِّ ، وَلَمْ أُكْتَشَفْ قَطُّ مَا إِذَا كَانَتِ الْغُرْفَةُ رَقْمُ (٧)
مَسْكُونَةً أَمْ لَا ، وَلَكِنَّكَ أَنْتَ اكْتَشَفْتَ ، وَأَنْتَ الْآنَ تَعْرِفُ السِّرَّ ؛
أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

زِيَارَةُ الطَّيِّبِ الْأَخِيرَةِ

دَاتِ أَمْسِيَّةٍ صَيْفِيَّةٍ دَافِئَةٍ مِنْ أَمَاسِيٍّ شَهْرِ يُولِيهِ (تَمُور) ، كَانَ
الْهَوَاءُ سَاكِئًا ، وَالْقَمَرُ مُتَالِفًا فِي كَيْدِ السَّمَاءِ الصَّافِيَةِ ، وَالصَّوْتُ
الْوَاحِدُ الَّذِي كَانَ الشَّرْطِيُّ مُتَفَوِّدًا يَسْتَطِيعُ سَمَاعُهُ هُوَ صَوْتُ وَقْعِ
قَدَامِهِ . وَكَانَ شَارِعُ رِيْنَرٍ هَادِئًا ، وَلَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ أَصْوَاءٍ فِي الْوُاقِعِ ؛
فَقَدْ كَانَ سُكَّانُ الشَّارِعِ يَعْطُونَ فِي سُبَاتٍ عَمِيقٍ .

وَبَطَرَ الشَّرْطِيُّ الشَّابُّ إِلَى سَاعَتِهِ ، فَوَجَدَهَا تُشِيرُ إِلَى الثَّانِيَةِ
وَالنُّصْفِ صَاحَا . وَفَحَاةٌ أَحْسَرُ بِالسَّعَادَةِ تَغْمُرُهُ ، فَلَمْ يَكُنْ قَدْ مَضَى
عِشَاءٌ فِي عَمَلِهِ كَشَرْطِيٍّ فِتْرَةً طَوِيلَةً ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ نَوْبَةِ حِرَاسَةِ
بُيُوتِهَا وَحْدَهُ ؛ فَحَتَّى اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ كَانَ يُرَامِلُهُ فِي الْحِرَاسَةِ شَرْطِيٌّ
حَرٌّ يَكْبُرُهُ سِنًا . أَمَّا الْآنَ فَقَدْ أُرْسِلُوهُ لِلْحِرَاسَةِ وَحْدَهُ ، فَشَعَرَ أَحْيَرًا
بِأَنَّهُ شَرْطِيٌّ حَقِيقِيٌّ .

السَّاعَةُ الْآنَ تُشِيرُ إِلَى الثَّانِيَةِ وَالْمُصَفِّ ، وَفِي الثَّالِثَةِ عَلَيْهِ أَنْ يَعُودَ إِلَى مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ لِيُقَدِّمَ تَقْرِيرَهُ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَنْتَهِي نَوْتُهُ ، وَيَعُودُ إِلَى دَارِهِ .

وَأَحَدَ يَسِيرُ عَلَى مَهْلٍ وَيُرَاقِبُ الشَّارِعَ بِاهْتِمَامٍ . وَكَانَ قَدْ دُرِبَ عَلَى الْبِقْطَةِ التَّامَّةِ ، وَعَلِمُوهُ أَنَّ عَلَى الشَّرْطِيِّ الْمَاهِرِ أَنْ يَبْقَى مُتَّبِعًا دَائِمَ الْمُرَاقَبَةِ طَوَالَ الْوَقْتِ . وَقَدْ أَرَادَ مِتْفُورْدُ أَنْ يَكُونَ شَرْطِيًّا مَاهِرًا ، فَلَمْ تُحْطِئْ عِيَّاهُ شَيْئًا نِلْكَ اللَّيْلَةَ . وَكَانَتْ إِحْدَى نَوَافِدِ الطَّائِفِ الْأَرْضِيِّ فِي الْمَنْزِلِ رَقْمَ ٢٦ مَفْتُوحَةً ، وَتُرِكَتْ نَعْضُ أَدَوَاتِ الْحَدَائِقِ أَمَامَ بَابِ الْمَنْزِلِ رَقْمَ ٢١ .

وَقَالَ مِتْفُورْدُ لِنَفْسِهِ : « سَكَّانَ مُهْمِلُونَ ! يَطْلُونُ أَنَّهُمْ آمِنُونَ فِي شَارِعٍ هَادِيٍّ كَهَذَا ، وَلَا يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ فُرْصَةَ اللَّصُوصِ سَتَكُونُ أَفْضَلَ فِيهِ . »

ثُمَّ شَاهَدَ قَطْرَ ضَخْمًا أَسْوَدَ يَعْدُو عَبْرَ الشَّارِعِ وَيَشِبُ فَوْقَ سُرِّ حَدِيقَةِ الْمَنْزِلِ رَقْمَ ١٣ ، ثُمَّ يَرِيضُ عَلَى عَتَمَةِ الْبَابِ وَيُرَاقِبُهُ وَهُوَ يَسِيرُ حَيْثُ وَذَهَابًا . وَابْتَسَمَ مِتْفُورْدُ قَائِلًا لَهُ : « لَقَدْ عُدْتُ إِلَى دَارِكَ إِذَا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَسَوْفَ أَعُودُ أَنَا أَيْضًا إِلَى دَارِي . طَابَ مَسَاؤُكَ أَيُّهَا الْقِطُّ ! »

وَشَعَرَ بِالْفَرَحِ يَعْمُرُهُ ؛ فَقَدْ أَرَفَ وَقْتُ انْتِهَاءِ نَوْتِهِ .

وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنْ نِهَآيَةِ الشَّارِعِ شَاهَدَ سَيَّارَةً كَبِيرَةً بَيَضَاءً وَاقِفَةً أَمَامَ الْمَنْزِلِ رَقْمَ ٣ ، قَدْ دُونَ رَقْمَهَا وَهُوَ رَدَّ يَدَيْ ٧٧٧ إِكْس . وَكَانَتْ أَبْوَابُ السَّيَّارَةِ مُغْلَقَةً ، كَمَا كَانَتْ تَقِفُ فِي الْمَكَانِ الصَّحِيحِ .

قَالَ لِنَفْسِهِ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ ثَمَّةَ شَخْصًا وَاحِدًا حَرِيصًا عَلَى النِّظَامِ يَسْكُنُ فِي شَارِعٍ رِيَنَر ! » ثُمَّ وَقَفَ وَنَظَرَ إِلَى وَاحِدَةِ الْمَنْزِلِ رَقْمَ ٣ ، وَكَانَ مَبْنًى كَبِيرًا يُسَرُّ النَّاطِرُ لِمَرَّاهُ ، لَكِنْ حَدِيقَتُهُ كَانَتْ مُهْمَلَةً ، وَكَانَ الْبَابُ فِي حَاجَةٍ إِلَى طِلَآءٍ .

قَالَ لِنَفْسِهِ : « شَيْءٌ غَرِيبٌ ! لَيْسَتْ هَذِهِ بِدَارِ رَحُلٍ فَقِيرٍ ؛ فَهِيَ مَقْدُورٌ مَنْ يَسْكُنُ هُنَا أَنْ يَعْنِيَنَّ بِحَدِيقَتِهِ ، وَيَدْهُرَ الْبَابَ الْأَمَامِيَّ لِلْبَيْتِ . »

وَمَضَى مِتْفُورْدُ فِي سَبِيلِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ ابْتَعَدَ سِوَى عِدَّةٍ أُمْتَارٍ عَنِ الْمَنْزِلِ رَقْمَ ٣ عِنْدَمَا سَمِعَ صَوْتًا آتِيًا مِنْ خَلْفِهِ . وَالتَفَتَ فَرَأَى الْبَابَ الْأَمَامِيَّ قَدْ انْفَتَحَ ، وَحَرَخَ مِنْهُ رَحُلٌ رَاحَ يَعْدُو فِي مَمَرِ الْحَدِيقَةِ بَاحِيَةً السَّيَّارَةَ . وَكَانَ طَوِيلَ الْقَامَةِ ، يَرْتَدِي حُلَّةً دَاكِئَةً ، وَيَحْمِلُ سِدَّهُ الْيُسْرَى حَقِيَّةً . وَكَانَ يَبْدُو عَلَيْهِ الشُّحُوبُ وَالْمَرَضُ . وَكَانَتْ

عِيسَاهُ وَاسِعَتَيْنِ ، وَكَانَتَا تُحْمَلِقَانِ فِي قَرْعٍ .

ووقف الرجلُ للحظةٍ ساكناً بحلب السيارة الكثيرة ، ثم استدار
عند مُتعباً : فخرى الشرطي وراءه وهو يصيح : « قف ! قف ! مَنْ
أنت ؟ هل تقيم هنا ؟ »

وبه يحثه الرجلُ ، فحدّ مثفورد في عذره ، وهو موقن أنه يستطيع
نجاحه .

ولكن عند مُعطف الشارع اختفى الرجلُ ، وبعد دقيقةٍ صهر
السيارة على بُعد أمتارٍ من الشرطي الشاب ، ثم اختفى في الدُقِيقَةِ
التي تليها . وكان القمرُ يعمرُ بصيائه الشارعَ كله ، فبدأ حاليًا من
المارة .

وعاد مثفورد إلى المنزل رقم ٣ فوجد السيارة لا تزال في مكانها ،
والحديقة قد انتشرت فيها الضلالُ ، وانساب الأمامي مفتوحاً .

وكان يعرف ما يجب عليه عمله : كان عليه أن يُفتش المنزلَ ،
وعن شيئاً غير عادي قد حدث في المنزل رقم ٣ . ولكنه أحسَّ فحاًةً
بحسوف ، فلم يشأ أن يدخل من خلال ذلك الباب المفتوح ، وأخذ
نفساً عميقاً ، وسار في ممر الحديقة . ولكن لم يكن ثمة مفر من

أَنْ يَقُومَ بِوَاجِبِهِ .

كَانَ السَّبُّ الْأَمَامِي يُقْضَى إِلَى بَهْوٍ كَبِيرٍ ، فَأَضَاءَ مِصْبَاحَهُ الْقَوِيَّ فِي أَرْحَاءِهِ وَرَأَى عَلَى صَوْنِ الْمِصْبَاحِ كِرَاسِيَّ وَمَائِدَةً يَغْلُوها التُّرَابُ . ثُمَّ حَاوَى أَنْ يُشْعَلَ الْمِصْبَاحُ الْكَهْرِبَائِيُّ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ تَيَّارًا ، فَقَدْ كَانَ مَقْطُوعًا .

قَالَ لِنَفْسِهِ : « لَا أَخَذَ يَعِيشُ هُنَا . وَمَنْ الْوَاضِحُ أَنْ أَحَدًا لَمْ يَسْكُنْ هَذِهِ الدَّارَ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ . »

ثُمَّ سَمِعَ صَاحِبًا : كَانَتْ ثَمَّةُ امْرَأَةٍ تَسْكُنُ فِي مَكَانٍ مَا بِالْمَنْزِلِ ، فَأَمْسَتْ أَفْسَاسُهُ وَأَصْغَى . وَكَانَ الضُّجُجُ يَغْلُو وَيَخْفُتُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّفْ . وَكَانَ مَصْدَرُهُ إِحْدَى الْعُزْبِ الْعُلْوِيَّةِ .

وَأَدَارَ ضَوْءَ مِصْبَاحِهِ فِي أَرْحَاءِ الْبَهْوِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَرَأَى فِي نِهَايَةِ الْبَهْوِ سُلَمًا ، فَيَمَّمْ شَطْرَهُ بَطْءًا ، وَأَخَذَ يَصْعَدُهُ . وَكَانَ السَّلْمُ مَلِيشًا بِالتُّرَابِ ، حَتَّى إِنَّ قَدَمَيْهِ كَانَا تَتَرَكَّانِ آثَارًا وَاضِحَةً فِيهِ . ثُمَّ التَّمَتَ وَرَاءَهُ نَحْوَ الْبَهْوِ ، وَسَلَطَ ضَوْءَ مِصْبَاحِهِ عَلَى أَرْضِيَّتِهِ ، فَرَأَى آثَارَ قَدَمَيْهِ هُوَ ، وَكَانَتْ هِيَ الْآثَارُ الْوَحِيدَةُ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ الْمَتْرَبَةِ .

وَحَفَقَ قَلْبُ مِتْفُورِدَ وَهُوَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ : « ذَلِكَ الرَّحْلُ ! ذَلِكَ الرَّحْلُ الَّذِي خَرَجَ يَغْلُو مِنْ هَذِهِ الدَّارِ مُنْذُ بِضْعِ دَقَائِقَ ، لِمَادَا لَمْ

تَرَكَ قَدَمَاهُ آثَارًا عَلَى أَرْضِ الْبَهْوِ ؟ ! وَلِمَادَا لَا أَرَى إِلَّا آثَرَ قَدَمِي
أَنَا ؟ ! »

وَأَسْتَدَارَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ لِنَفْسِهِ : « عَلَى آيَةِ حَالٍ . فِي مَقْدُورِي مُرَاقَبَةُ هَذَا الْمَنْزِلِ مِنَ الْخَارِجِ ، وَبِمُكَايَةِ اسْتِعْمَالِ حِمَارِ الْأَسْلَاسِ وَمُحَاطَبَةِ مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ ، وَطَلَبِ السُّجْدَةِ مِنْ اضْطِاطِ الْمَدُوبِ . وَأَسْتَطِيعُ مُرَاقَبَةَ الْمَنْزِلِ مِنَ الشَّارِعِ حَتَّى تَأْتِيَنِي السُّجْدَةُ . إِنْ الْحَاوِيشُ تُوَمَاسُ سَيَذَرُكَ أَنِّي فِي حَاجَةٍ إِلَى الْعَوْنِ ، وَسَأُوفِيهِ بِقَرِيرٍ مُفْصَّلٍ بِمَا رَأَيْتُهُ ، وَسَأُخْبِرُهُ عَنْ ذَلِكَ الرَّحْلِ الْغَرِيبِ الَّذِي فَرَّ هَارِبًا ، وَسَأَبَيِّنُهُ بِأَنَّ الدَّارَ الْأَمَامِيَّ لِلْمَنْزِلِ رَقْمُ ٣ كَانَ مَقْتُوحًا . وَسَأُلَمِّعُهُ بِاعْتِقَادِي فِي أَنَّ ثَمَّةَ شَخْصًا آخَرَ لَا يَرَالُ فِي دَاخِلِ الْمَنْزِلِ . وَسَوْفَ ... »

وَفَحَاةً كَفَّتِ الْمَرْأَةُ عَنِ الْبُكَاءِ ، ثُمَّ سَمِعَ صَرْخَةً مُرَوِّعَةً آتِيَةً مِنْ عُرْفَةِ النَّوْمِ الَّتِي بِأَعْلَى السَّلْمِ .

« لَا ! لَا ! أَرْجُوكَ لَا تَفْعَلْ ! أَرْجُوكَ يَا حَوَاثِلَ لَا تَفْعَلْ !
أَرْجُوكَ ! أَرْجُوكَ ! » ثُمَّ تَلَا شَيْءَ الصَّرَاخِ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ مُرَعِبَةٍ :
« آآآه ! »

لَقَدْ تَلَقَّى مِتْفُورِدَ تَذَرِيًّا مُمْتَارًا ، وَكَانَ الْحَاوِيشُ تُوَمَاسُ يَغْمُ الْمَعْلَمَ لَهُ : فَقَدْ عَلِمَهُ أَنَّ رَجُلَ الشَّرْطَةِ يَجِبُ أَنْ يُوَاحِدَهُ الْحَظَرَ . وَكَانَ

مُتَّفُورِدٌ يَعْرِفُ وَاحِدَةً حَيًّا لَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الصَّرْحَةُ الْمُرْعَةُ صَرْحَةً
اسْتَعَالَةً

وَصَعِدَ السُّلَّمُ حَرًّا وَلَمَّا كَانَتْ بَابُ عُرْفَةِ النَّوْمِ مَوْصَدًا يَقْفُلُ ؛
فَقَدْ رَاحَ يَرْكُلُ الْقِفْلَ مَرَّةً وَاسْتَيْسَ وَثَلَاثًا ، وَمَا لَيْتَ الْبَابُ أَنْ
انْفَتَحَ وَانْدَفَعَ إِلَى دَاخِلِ الْعُرْفَةِ ، وَأَحْصَالَ صَوْنِ الْكَتَائِفِ فِي كُلِّ
رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِهَا ، فَشَاهَدَ مَقْعَدًا خَالِيًا ، وَتَسْرِيحَةً ، وَمَائِدَةً مَقْنُونَةً ،
وَسُرِيرًا عَلَيْهِ كَوْمَةٌ مِنْ أَعْصِيَةِ الْفَرَاشِ . وَسَارَ مَتَّفُورِدٌ بِخَوِ السُّرِيرِ
نَظْرًا ؛ حَشِيَّةً أَنْ يَكُونَ ثَمَّةَ أَحَدٍ مُحْتَسِبًا نَحْتِ تِلْكَ الْكَوْمَةِ الْكَبِيرَةِ
مِنَ الْأَعْصَةِ

نَقَلَ الْمَصْنُوحَ مِنْ ثَمَانَةٍ إِلَى يَسْرَاهُ ، وَحَرَّصَ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَصْنُوعُ
مُسَلَّطًا عَلَى السُّرِيرِ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَحَدَثَ الْأَعْصِيَةَ مِنْ فَوْقِ السُّرِيرِ

وَعِنْدَئِذٍ رَأَى وَجْهَ امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ تَنْطَلِعُ إِلَيْهِ وَلِسَانُهَا مُتَدَلِّلٌ مِنْ فَمِهَا
لِغَاءٌ وَكَانَتْ عِنْدَهَا تَلَمَعَانِ فِي صَوْنِ الْمَصْنُوحِ ، وَرَائِحَةُ قَضْمَةٍ
تَنْبَعِثُ مِنْ بَشَرَتِهَا الصُّفْرَاءِ .

صَاحَ اسْتَرْصِيْ يَا إِلَهِي ! حَرِيمَةُ قَتْلِ فِي أَوَّلِ نَوْنَةِ حِرَاسَةِ
لِي ، وَتَرَكْتُ الْقَائِلَ يَفِرُّ !

وَعَطَى ذَلِكَ الْوَحْهَ اسْتَشَعَ امْتًا نَاعِصَةِ الْفَرَاشِ ، وَأَوْصَدَ بَابَ

غُرْقَةُ النَّوْمِ حَلَمُهُ . وَحَرَّحَ مِنَ الْمَنْزِلِ رَقْمَ ٣ وَاسْتَدْعَى الضَّابِطَ الْمُنُوبَ مِنْ خِلَالِ جِهَازِ اللّاسِلكِي وَقَالَ لَهُ : « أَمَا الشَّرْطِيُّ مِتْفُورْدُ أَيُّهَا الْجَاوِشُ . إِنِّي أَتَكَلَّمُ مِنْ حَارِجِ الْمَنْزِلِ رَقْمَ ٣ بِشَارِعِ رِينر . إِنَّهَا حَرِيمَةُ قَتْلِ وَأَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّهَا حَرِيمَةُ قَتْلِ . لَقَدْ رَأَيْتُ الْقَاتِلَ بَعِيْنِي وَتَرَكْتُهُ يَهْرُبُ . إِنَّ طَوْلَهُ حِوَالِي مِئَةٍ وَتَمَاسِيْسُ سَتِيْمَتِرًا ، وَفِي السِّتِيْنِ مِنْ عُمُرِهِ نَقْرِيْبًا ، وَيَلْبَسُ حُلَّةً دَاكِئَةً ، وَمَعَهُ حَقِيْبَةٌ صَغِيْرَةٌ . أَمَّا الْقَتِيْلَةُ فَامْرَأَةٌ فِي حِوَالِي ... »

قَاصِدَةُ صَوْتِ الْحَاوِشِ تُوْمَاسُ قَائِلًا : « عُدْ فِي الْحَالِ إِلَى مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ يَا مِتْفُورْد . إِنَّ نَوْبَةَ حِرَاسَتِكَ تَنْتَهِي فِي الثَّالِثَةِ صَاحَاً ، وَالسَّاعَةُ الْآنَ تَقْتَرِبُ مِنَ الثَّالِثَةِ . »

« وَلَكِنْ أَيُّهَا الْحَاوِشُ ، إِنَّ هُنَاكَ امْرَأَةً مَقْتُولَةً فِي هَذَا الْمَنْزِلِ ، وَالْقَاتِلُ قَدْ هَرَبَ وَإِنِّي لَمُحْتَاجٌ ... »

« لَا تُقَاصِعْ يَا مِتْفُورْد ! عَلَيْكَ أَنْ تُطِيعَ الْأَوَامِرَ فَحَسْبُ ، وَتَأْكُذُ مِنْ أَنَّ بَابَ الْمَنْزِلِ رَقْمَ ٣ مُوصَدٌّ بِأَحْكَامٍ ، ثُمَّ عُدْ إِلَى هَذَا حَالًا لَقَدْ وَصَلْتُ رِسَالَتَكَ وَعَلِمَ مَا فِيهَا . »

ثُمَّ سَكَتَ جِهَازُ اللّاسِلكِي بِمُحَرِّدٍ أَنْ أَنْهَى الْجَاوِشُ تُوْمَاسَ كَلَامَهُ . وَأَعْلَقَ مِتْفُورْدُ بَابَ الْمَنْزِلِ رَقْمَ ٣ ، وَتَأْكُذُ مِنْ إِعْلَاقِهِ ، ثُمَّ

مَسَرَّعًا عَائِدًا - عَلَى مَهَلٍ - إِلَى قِسْمِ الشَّرْطَةِ ، وَهُوَ مُتَوَتِّرٌ تَمَامًا . قَالَ الْجَاوِشُ تُوْمَاسُ وَهُوَ يَدْفَعُ بِفِئْجَانٍ وَطَبَقٍ فَوْقَ الْمَكْتَبِ الَّذِي حَسَنَ إِلَيْهِ : « أَحْسَنُ يَا مِتْفُورْد ، وَأَحْسَنُ فِئْجَانُ الشَّيْءِ هَذَا . وَالْآنَ مَكُنْتُ أَنْ تُخْرِجَنِي بِمَا حَدَثَ . وَاحْكُ عَلَى مَهَلٍ ، فَلَنْ أَقْطَعُكَ » وَطَلَّ يَنْصِتُ صَامِتًا حَتَّى هَرَعَ الشَّرْطِيُّ مِتْفُورْدُ مِنْ رَوَايَةِ قِصَّتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « حَسَنٌ ، وَالْآنَ أَحِبُّ عَنْ بَعْضِ الْأَسْئَلَةِ . أَوَّلًا : مَا تَارِيخُ الْيَوْمِ ؟ »

« إِنَّهُ الثَّالِثُ عَشَرَ مِنْ يُولْيَةِ (تَمُور) أَيُّهَا الْحَاوِشُ ، وَلَكِنْ لَمَّا ... ؟ »

« أَحَبُّ فَقَطْ عَنْ أَسْأَلَتِي يَا مِتْفُورْد ، فَثَمَّةُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٌ تَتَّصِلُ بِهَذِهِ اللَّيْلَةِ أَنْتَ لَا تَعْرِفُهَا ، كَمَا أَنَّ ثَمَّةَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا أَفْهَمُهَا أَنَا نَحْنًا ، بِيَدِ أَيِّ أَعْرُفُ عَنْهَا أَكْثَرَ مِمَّا نَعْرِفُ أَنْتَ . »

« وَلَكِنْ دَلِيلُ الرَّحْلِ - أَيُّهَا الْجَاوِشُ - الَّذِي رَأَيْتَهُ يَخْرِي فِي بَاشَارِعِ رِينر ، يَحْبُ عَلَيْنَا أَنْ تُرْسِلَ بِعَدَدٍ مِنْ سَيَّارَاتِ الشَّرْطَةِ لِلنَّحْتِ عَنهُ . »

« لَنْ يَعْثُرُوا عَلَيْهِ يَا مِتْفُورْد ، لَنْ يَعْثُرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ! »

« وَلَكِنْ أَيُّهَا الْجَاوِشُ . »

« صَبْرٌ ، فَمَا هَدَيْهِ بِالْقِصَّةِ الَّتِي يَسْتَهْلُ سَرْدُهَا . وَلَسَوْفَ تَرُدُّهُ إِذَا قَاطَعْتَنِي . »

« آسَفْتُ أَيُّهَا الْجَاوِشُ ! »

« أَلَا فِكْرٌ حَيْدًا . أَيْ كَانَ الرَّحْلُ حَيْثُ سَمِعْتَ صَرَاحَ الْمَرْأَةِ ؟ »

« كَانَ . كَانَ فِي مَكَارٍ مَا بِالْشَّارِعِ . نَعَمْ ، فِي مَكَارٍ مَا بِالْشَّارِعِ . فَذَلِكَ هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِيهِ أَحْرَ مَرَّةٍ . إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَنْزِلِ . »

« وَالْمَرْأَةُ الَّتِي بَصُرْتُ أَنَّكَ رَأَيْتَهَا يَا مُتْفَوِّرِدُ ، كَيْفَ ؟ »

« أَتَقُولُ نَصْرُ يَا سَيَادَةَ الْجَاوِشِ ؟ أَيْسَى لَا أَصْرُ أَيْسَى رَأَيْتَهَا لَقَدْ رَأَيْتَهَا رَأَيْ الْعَيْنِ . »

« حَسَنَ يَا مُتْفَوِّرِدُ . لَا دَاعِي لِلْأَفْعَالِ . يَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ مَيِّتَةً ؟ »

« يَا مُتْفَوِّرِدُ هُدُوءٌ تَامٌ . كَانَتْ مَيِّتَةً ، وَكَانَتْ سَدُودٌ . وَكَانَتْ تَسْدُودٌ . لَقَدْ كُنْتُ حَقِيقًا مِنْهَا أَيُّهَا الْجَاوِشُ . لَقَدْ كَانَ لِسَانُهَا . »

وَبَلَكَ الرَّائِحَةَ الْفَظِيحَةَ ... »

« نَعَمْ ، نَعَمْ ، أَعْرِفُ ذَلِكَ . فَقَدْ وَصَفْتَهَا لِنَتَوِّ . وَمَتَى قُتِلَتْ فِي بَقْدِيرِكَ ؟ »

« نَحْنُ نَحْرُ الشَّرْطِيِّ مُتْفَوِّرِدُ حَوَابًا ، وَإِنَّمَا عَطَى وَحْهَهُ بِكَلْتَا يَدَيْهِ . »

« هَيَّا يَا مُتْفَوِّرِدُ . لَا بُدَّ أَنْ لَدَيْكَ فِكْرَةٌ . هَلْ كَانَتْ قَدْ مَاتَتْ مِنْهَا عِنْدَمَا رَأَيْتَهَا ؟ هَلْ كَانَ ذَلِكَ الرَّحْلُ ، الَّذِي رَأَيْتُهُ يَجْرِي فِي الشَّارِعِ ، قَدْ قَتَلَهَا لِنَتَوِّ ؟ »

« وَاعْتَدَلُ مُتْفَوِّرِدُ فِي كُرْسِيِّهِ قَائِلًا : « لَا ، أَيُّهَا الْجَاوِشُ ، لَمْ يَكُنْ قَدْ مَاتَ لِنَتَوِّهَا ، وَلَمْ يَكُنْ الرَّحْلُ قَدْ قَتَلَهَا قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ . »

« كَيْفَ عَرَفْتَ هَذَا ؟ »

« لِأَنَّهُ . لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدَّارِ عِنْدَمَا سَمِعْتُهَا تَنكِحُ وَتَصْرُخُ ، لِأَنَّهُ رَنَاهُ ! وَلِأَنَّهُ كَانَتْ مَيِّتَةً مُدَّ سَوَاتٍ ! فَذَلِكَ الشَّيْءُ الَّذِي ... »

« هُوَذَا عَلَيْكَ يَا مُتْفَوِّرِدُ ! اهْدَأْ ! لَقَدْ كَانَتْ لَبْلَةً لَا تُحْسَدُ عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَسْمَعَ الْقِيَّةَ . إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي ظَنَنْتَ أَنَّكَ رَأَيْتَهُ يَجْرِي فِي شَارِعِ رِيَرِ ، قَدْ مَاتَ هُوَ أَيْضًا مِنْ سَوَاتٍ . لَا ... »

تُقاطِعني ! إني لا أستطيع تفسير أي شيء ، ولكن أعطيك الحقائق فقط . فأنت لست أول شرطي يبلغ عن هذه القصة . لقد حدث كل هذا من قبل ، في ذلك التاريخ بعينه . أيربحك هذا ؟

وهز رأسه قائلاً : « على الأقل تأكدت الآن أنني لم أحر أيها الجاويش ! فإذا كان رجال شرطة آخرون قد شاهدوا الشيء نفسه ... »

« لقد شاهد هذا غيرك من رجال الشرطة . والآن أصغ إلي . لقد كان يعيش في المنزل رقم ١٣ بشارع ريسر طبيب و زوجته ، وكان اسمه الدكتور جوناثان تيسون . وكان طيباً ممتازاً ، وقد أحبه الناس جميعاً . ولكن زوجته كانت امرأة لا تطاق ؛ إذ كانت تسرف في الشراب ، وكانت دائمة الشجار معه كلما سكرت . وذات يوم حاولت إشعال النار في البيت ، ثم دات صاح باكر ، عاد الطبيب إلى منزله من ريارته لأحد المرضى ، وكانت زوجته نائمة ، وكانت تنكي ونصيح وتصرخ . أمّا هو فكان مرهقاً مشدود الأعصاب ، فتملكه العصب والغف . ولم تكن طبيعته العنيفة يا متفورد ، لكن العصب هذه المرة جعله عيافاً جداً ، فخنقها بكلتا يديه وهي راقدة في سريرها تصرخ ، ثم قرّ هارباً من المنزل ! »

وتقي الشرطيان صامتين فترة من الوقت .

وقطع متفورد حبل الصمت بأن سأل بهدوء : « وما الذي حدث له أيها الجاويش ؟ »

« راح يغدو في حالة هياج حتى وصل إلى طريق لند ، فحاول العبور وهو يغدو غير عاين بالسيارات المتدفقة ، فصدمته سيارة نقل ثقيلة وقتلته . »

وصمت متفورد ثانية ، ثم قال أخيراً : « متى حدث هذا أيها الجاويش ؟ »

« منذ عشر سنوات ، وعلى وجه التحديد في الصباح الباكر من اليوم الثالث عشر من شهر يولييه . »

« ماذا عن السيارة البيضاء الكبيرة ؟ ما علاقتها بالقصة ؟ »

« لا علاقة لها بالقصة . إنها مملوكة لرجل يسكن في المنزل رقم ٢٢ ، وقد اعتاد أن يتركها أمام المنزل رقم ٣ ، فالشارع هناك أوسع ولم يسكن في المنزل رقم ٣ أحد منذ أن مات الطبيب وزوجته . »

وعاد الجاويش ثوماس إلى صمته ، ثم قال : « يحسن أن تكتب

تَقْرِيرَكَ فِي دَفْتَرِ السُّوَدَاتِ يَا مِتْفُورْد ، ثُمَّ نَعُودَ إِلَى دَارِكَ ، فَإِنَّكَ تَبْدُو
مُتَعَمًّا .»

وَالْتَقَطَ مِتْفُورْدَ الْقَلَمَ سَائِلًا : « هَلْ أَحْرَرْتَ تَقْرِيرًا عَمَّا رَأَيْتَهُ فِي
الْمَنْزِلِ رَقْمَ ٣ أَيُّهَا الْجَاوِيشُ ؟ »

أَحَابِ الْجَاوِيشُ تُوْمَاس . « لَا ، قَمَسَ الْأَفْصَلَ أَلَا تَفْعَلُ ؟ »

كَانَ مِنْ عَادَتِي قِصَاءَ إِحَارَاتِي فِي يُونْتَشِيَسْتَر ، وَهِيَ مَدِينَةٌ
سَعِيرَةٌ هَادِيَةٌ تَرْحُرُ بِالْمَسَايِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَسْتَحُوذُ عَلَى الْإِهْتِمَامِ . وَلَمْ
أَكُنْ بِرُورْهَا سِوَى الْقَلِيلِ ، لَدَا لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ الزُّحَامَ وَكُنْتُ
أَسْمَعُ نَحْوَهَا الْهَادِيَّ ، فَأَنَا أَعْمَلُ فِي إِحْدَى الْمَدُنِ الْكَثْرَى ، وَلِهَذَا
وَبِئْسَ غُضَلَةٌ فِي يُونْتَشِيَسْتَر هِيَ تَغْيِيرُ كَامِلٍ فِي حَيَاتِي الْعَادِيَّةِ .
، بِإِصَافَةٍ إِلَى ذَلِكَ فَإِنِّي كُنْتُ أَذْهَبُ تَارِيحَ تِلْكَ النُّقْعَةِ ، وَكُنْتُ
أَعْلَمُ أَنَّ أَقْبَى عَلَى سِيرَةِ حَيَاتِهَا الْمَاضِيَةِ ، وَقِصَّةُ سُكَّانِهَا وَمَبَايِهَا .
، كُنْتُ أَذْهَبُ الْمَلَا حِطَّاتٍ عَنْ كُلِّ هَدِيَةِ الْأَشْيَاءِ إِيَّانَ عُطَّلَاتِي وَهَكَذَا
مَرُفَتٌ بَعْدَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ عَنْ يُونْتَشِيَسْتَر أَكْثَرَ مِمَّا يَعْرِفُهُ سُكَّانُهَا عَنْهَا

إِنِّي لَسْتُ ثَرِيًّا ، وَلَيْسَ فِي مَقْدُورِي الْإِقَامَةُ فِي الْفَسَادِ وَبَعْدَمَا
عَمَّ حَالُ طُومَسُونِ أَنِّي أُرِيدُ قِصَاءَ عُطَّلَاتِي فِي يُونْتَشِيَسْتَر دَعَايَ

لِلإِقَامَةِ عِنْدَهُ . وَقَدْ خَدَمْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْحَيْثُ مَعًا إِبَانِ الْحَرْبِ ،
وَكُنَّا صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْنِ . وَهَكَذَا أَقَمْتُ عِنْدَهُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ أَنِي فِي
مَنْزِلِهِمَا الصَّغِيرِ الْحَمِيلِ الْكَائِنِ فِي شَارِعِ فُورٍ . وَبِالطَّبْعِ دَفَعْتُ
لَهُمَا بَعْضَ النَّقُودِ ، فَأَنَا لَسْتُ مِنْ ذَلِكَ الصَّنْفِ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي
يَتْرَكُ أَصْدِقَاءَهُ يُنْفِقُونَ عَلَيْهِ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَا يَقُولَانِ لِي دَائِمًا
بِأَنَّهُمَا يَتَطَلَّعَانِ لِمِزَارَتِي الْقَادِمَةِ . وَدَأَا عَلَى أَنْ يُشْعِرَانِي بِأَنْ عَطَلَاتِي
إِنَّمَا هِيَ عَطَلَاتُ لَهُمَا . وَأَنَا عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُمَا بَعْثَانِ مَا يَقُولَانِ .
وَلَقَدْ قَصَصْنَا مَعًا أَسْعَدَ الْأَوْقَاتِ إِلَى أَنْ إِلَى أَنْ عَادَتِ السَّيِّدَةُ وَوُودَ
إِلَى بَيْتِهَا .

وَفِي ذَلِكَ الْعَامِ ذَهَبْتُ إِلَى هَذَا لِقِصَاءِ أَحَدِ الْأَعْيَادِ ، وَكَانَ
وُصُولِي عَصْرًا ، وَكَانَ الْحَوْ حَيْذَكَ رَبِيعِيًا لَطِيفًا . وَكَانَ بِالْحَوْ
بَعْضُ السَّحَبِ الْبَيْضَاءِ الصَّغِيرَةِ ، وَكَانَتِ السَّمَاءُ زُرْقَاءَ ، وَسَطَعَتِ
الشَّمْسُ الدَّافِقَةُ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ وَحَرَحْنَا تَتَرَّةً ، وَالتَّقَطَّتْ بَعْضُ
الصُّورِ لِمَبَانِي الْمَدِينَةِ .

قَالَتْ أَنِي : « لَا بُدَّ أَنْ لَدَيْكَ مِثَالِ الصُّورِ لِيُورَثِيَسْتِر » .

قُلْتُ . « إِنَّ لَدَيَّ مِنْهَا الْكَثِيرُ ، يَبْدُ أَنِّي أَحْتَاجُهَا ؛ إِذَا بَسَغِي
عَلَى دَارِسِ التَّارِيخِ أَنْ يَسْتَحْدِمَ عَيْيَهُ . وَعِنْدَمَا أَكُونُ بَعِيدًا عَنْ

رُئِيسِيسْتِرِ فَإِنِّي أَنَامُلُ هَذِهِ الصُّورَ ؛ فَهِيَ تُسَاعِدُنِي عَلَى فَهْمِ
الْمَاضِي . »

وَنَارُلْنَا الشَّاي فِي مَقْهَى صَغِيرٍ لَطِيفٍ اسْمُهُ « الْوَرْدَةُ وَالتَّاحُ » .
عِنْدَمَا بَعْدَ ذَلِكَ سِيرًا عَلَى أَقْدَامِنَا إِلَى شَارِعِ فُورٍ ، وَبَعْدَ الْعِشَاءِ
حَلَسْنَا نَتَسَامَرُ بِجَانِبِ الْمِدْفَأَةِ .

قُلْتُ : « أَحْبِرَانِي بِكُلِّ مَا عِنْدَكُمَا مِنْ أَبَاءٍ ، فَإِنِّي لَمْ آتِ إِلَى
رُئِيسِيسْتِرِ مِّنْذُ الصَّيْفِ الْمَاضِي وَأَرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ . »

انْتَسَمَ حَاكَ قَائِلًا : « أَلَا نَعْتَقِدُ ، يَا بِل ، أَنَّ يُورَثِيَسْتِرَ قَدْ طَرَأَ
مِنْهَا تَغْيِيرٌ ؟ إِنَّكَ لَتَعْرِفُهَا أَكْثَرَ مِنَّا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْحَيَاةُ هُنَا تَسِيرُ
بِنَظَرٍ شَدِيدٍ . لَقَدْ جَاءَنَا طَبِيبٌ حَدِيدٌ إِذَا كَانَ ذَلِكَ يُهْمُّكَ . فَقَدْ
حَلَّ الدُّكْتُورُ مِيشِلَ الْعُحُورُ فِي أَكْتُورٍ ، وَذَهَبَ لِيَعِيشَ مَعَ شَقِيقَتِهِ
فِي الرِّيفِ ، وَحَاءَنَا بَدَلًا مِنْهُ الدُّكْتُورُ الشَّابُّ وَارِنُ . وَهُوَ يَبْدُو رَجُلًا
لَطِيفًا . »

« إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ يُورَثِيَسْتِرِ يُهْمُنِي ، فَاْمُضْ فِي سَرْدِ الْأَخْبَارِ
عَلَيَّ . »

قَالَتْ أَنِي : « لَقَدْ رَحَلَتِ السَّيِّدَةُ وَوُودَ . »

قُلْتُ مُسْتَفْهِراً : « السَّيِّدَةُ وُود ؟ مَنْ هِيَ السَّيِّدَةُ وُود ؟ » أَيْ
كَانَتْ تَعِيشُ ؟ لَا أَطْنُنِي أَعْرِفُهَا .

قَالَتْ أَيْ : « نَعَمْ ، بَلَى لَا نَعْرِفُهَا ، فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَحْرُحُ كَثِيراً
عِنْدَمَا كَانَتْ تَعِيشُ هُنَا .

« وَأَيِّنَ قُلْتَ إِنَّهَا عَاشَتْ ؟ »

انْتَسَمَتْ أَيْ قَائِلَةً : « أَمَا لَمْ أَقُلْ أَنْتَظِرُ لِحِطَّةٍ يَا بَلَى ، وَمَا حُرِّكَ
بِكُلِّ مَا أَعْرِفُ . إِنَّ السَّيِّدَةَ وُودَ امْرَأَةً ضَاعَةً فِي السَّرِّ ، وَلَمْ تَكُنْ
تَحْرُحُ كَثِيراً لِأَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ سَهَوَةً ، وَهِيَ رَحِبَتْ فَيْلَ رَأْسِ



سَهْ ، وَهِيَ الْآنَ تَعِيشُ مَعَ أَسْتَرَالِيَا . وَكَانَتْ تَعِيشُ فِي
... مِنْ الْمُقَابِلِ لَنَا عَلَى الرُّصَيْفِ الْآخِرِ ، فِي الْمَثَرِ الَّذِي تُؤْخِذُ أَمَامَ
مُوافقه الشُّحِيرَاتِ الْكَثِيفَةِ .

قُلْتُ : « أَعْرِفُ ، فَقَدْ كُنْتُ أَطُرُ دَائِماً بِأَنَّ شُحْصاً مَا يَتَطَلَّعُ
... الْبَاقِيَةِ الَّتِي بِالصَّاقِ الْعُلُويِّ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ عَلَى يَقِينٍ مِنْ
... ، لِأَنَّ الشُّحِيرَاتِ تُعْطِي حُرّاً مِنْ لِبَاقَةِ .

فَالِ حَاكَ بِنَهْجَةٍ عَاصِبَةٍ : « لَقَدْ قَصَصْتُ السَّيِّدَةَ وُودَ حُلّاً وَقُتْهَا
... مِنْ جِلَالِ بِلَى الْبَاقِيَةِ ! » وَكَانَ حَاكَ مِنَ الْبَرَقَةِ حَتَّى إِنَّ
عَصَّةَ أَذْهَنِي ، فَلَمْ أَرَهُ قَطُّ غَاضِباً مِنْ قَبْلُ .

قَالَتْ أَيْ : « كُنْ مُنْصَفاً يَا حَاكَ ، فَقَدْ كَانَتْ وَحِيدَةً . إِنَّهَا
... نَحْبُ مُرَاقَبَةِ النَّاسِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تُرْبِلُ مِنْ نَفْسِهَا الشُّعُورَ
... وَهِيَ نَظَرُ مِنَ الْبَاقِيَةِ وَتُرَاقِبُ مَا كَانَ يَحْدُثُ بِالْخَارِجِ . »

« إِيَّاكَ كَانَتْ وَحِيدَةً فَدَاكَ دَسَّهَا وَخَدَّهَا . أُسَيِّتُ كَمَا كَانَتْ
عِلَّةً مَعَكَ ؟ »

قَالَتْ أَيْ : « لَقَدْ اتَّفَقْنَا عَلَى أَلَّا نَتَحَدَّثَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ مَرَّةً
... ، وَنُسْ لَكَ أَنْ تَلُومَ السَّيِّدَةَ الْعَجُوزَ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَحْسُنُ حَوَارَ

بافديتها ؛ وكانت مراقبة ما يحدث في الشارع تدخل في نفسها
السُرور . لقد كنت أشفق عليها .

ردّ جاك : « أما أنا فأشفق على أبيها . إني ما كنت لأرعى بأن
تعيش تلك العجور معنا في بيتي ، ولكي أأمل ألا يتعاركا كثيرا ،
وأنمي أن تعيش معي إلى الأبد . إنها لن تشعر بالوحدة هناك ، ولا
أريدها أن تعود إلى شارع فور مرة أخرى . »

« جاك ، إنك ... »

لم أعرف ماذا كانت تريد أن تقول ، ولكنني رأيت الاثنين
وقد تملكهما الغضب ، فحاولت محري الحديث مستفسرا عن
الطبيب الجديد ، وبهذا كففا تماما عن الخوص في سيرة السيدة
وود ، وعاد صديقي وزوجته إلى صفائهما ثانية . لقد كان كل
منهما عادة لطيفا مع الآخر ، وأدهشني أن أرى امرأة عجوزا تعكّر
صفوهما

وفي تلك الليلة آويت إلى الفراش مبكرا ، ولكن النوم جافاسي ،
فمظرت إلى ساعتني فوجدتها تشير إلى منتصف الليل . وحاولت أن
أقرأ كتابا ، غير أن اهتمامي بالقراءة لم يدم ؛ فقد كنت أفكر في
جاك وآني : لماذا أزعجهما الحديث عن السيدة وود ؟ فتلك المرأة

محور الوحيدة تعيش الآن بعيدا في أستراليا ، ومع ذلك تملكهما
العصب بسببها . وقد حاولت أن تكون منصفة ، غير أنها لم
تكن نجها ، بل كانت تُشفق عليها ، أو على الأقل كانت تقول
إنها تُشفق عليها . ولكن الذي دار في خلدي أن أبي كانت عاضبة
منها مثلما كان جاك عاصبا . غير أن الفرق بينهما أن أبي لم تظهر
مشاعر غضبها .

نهضت من الفراش وذهبت إلى النافذة ، ورحت أحملق إلى
نفس السيدة وود عبر الشارع ، وكان القمر متلألئا ، فاستطعت أن
أرى واجهة البيت بوضوح ، وكانت أوراق الشجيرات الكثيفة تهتز
ببطء مع هبات النسيم الرقيق .

قلت لنفسي : « ما أبدعها من ليلة ! سيكون الطقس ماسبا
رحلتي . »

ولاحظت أنه كانت ثمة ستائر على نوافذ بيت السيدة وود ؛ إذا
لم تترك البيت خاليا لقد بدا البيت وكأنه مأهول وقد
علمني الستائر أطن أن في الدار ساكنا ، فتمتمت لنفسي :
« لعلك لا تزالين هناك ، يا سيده وود ! »

وعندئذ رأيت إحدى الستائر المعلقة على إحدى النوافذ بالطابق

رَأَيْتَنِي تَتَحَرَّكَ كَانَ هُنَاكَ شَخْصٌ مَا ! لَقَدْ كَانَتْ السَّيِّدَةُ وَود
حَامِلٌ أَنْ تَرَانِي بِوُضُوحٍ !

وَبِمُلْكِي الرُّعْتُ ، وَابْتَعَدْتُ عَنْ النَّافِذَةِ بِسُرْعَةٍ وَقَفَرْتُ إِلَى
مَرَاتٍ ، حَيْثُ رَقَدْتُ فِي الطَّلَامِ مُرْتَبِعًا لَقَدْ كَانَتْ تُرَاقِبُنِي

وَبِمُسْتَرْدَدَّتْ شَجَاعَتِي بِطُءٍ ، وَقُلْتُ لِنَفْسِي « يَا لَكَ مِنْ أَحْمَقٍ !
بِالسَّتَارَةِ لَمْ تَتَحَرَّكَ ، وَإِنَّمَا أُورَاقُ الشُّجَيْرَاتِ هِيَ الَّتِي تَتَحَرَّكَ عِنْدَمَا
يَهْبُ الرِّيحُ . وَهَذَا مَا حَدَثَ ، لَقَدْ حَرَّكَتِ الرِّيحُ الْأُورَاقَ أَمَامَ
الْوُدِّ ، فَطَسَّتْ أَنْتَ أَنَّ السَّتَارَةَ تَحَرَّكَتْ . وَإِذَا كَانَتْ السَّيِّدَةُ وَود
بِحُودَةٍ فِي الْمَنَزْلِ ، فَإِنَّهَا لَنْ تَسْتَطِيعَ إِيدَاءَكَ ، فَهِيَ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ
بَحِيدَةٌ ، وَأَنْتَ رَجُلٌ قَوِيٌّ مُمْتَلِئٌ عَافِيَةٌ وَمَا الَّذِي تَحْشَاهُ إِذَا ؟
« هُمَا يَكُنُّ مِنْ أَمْرِ فَهِيَ لَيْسَتْ فِي الْمَنَزْلِ ، بَلْ عِنْدَ أَبْنَاهَا فِي
أَسْتِرَالِيَا . »

عِنْدَئِذٍ نَحَسَنْتُ حَالَتِي ، وَلَكِنْ مَضَى زَمَنٌ طَوِيلٌ قَبْلَ أَنْ
يَعْرِفَ فِي النَّوْمِ وَرَأَيْتُ فِي نَوْمِي أَحْلَامًا مُفْرَعَةً . لَقَدْ رَأَيْتَنِي
حَامِلًا الْهَرَبَ مِنْ مَنَزْلِ غَرِيبٍ مُطْبِعٍ ، وَكَانَتْ ثَمَّةَ امْرَأَةٍ عَجُوزٍ
رَاقِبَتِي .

وَعِنْدَمَا صَحَوْتُ مِنْ نَوْمِي كُنْتُ أَشْعَرُ بِالْإِرْهَاقِ وَالضِّيقِ . لَقَدْ
بَدَأْتُ عَطَلَتِي بِبَدَايَةِ سَيِّئَةٍ . وَاعْتَسَلْتُ ثُمَّ ارْتَدَيْتُ نِيَابِي ، وَفَتَحْتُ

نافذة عُرْفَةٍ نَوْمِي وَالتَّقَطْتُ صُورَةَ لَبِيتِ السَّيِّدَةِ وُودَ . وَكَانَتْ شَمْسُ
الصُّبْحِ تُلْقِي بِضِيَائِهَا عَلَى وَاجِهَةِ الْبَيْتِ ، وَكَانَتْ الشُّجَيْرَاتُ تُلْقِي
هِيَ الْآخَرَى بِظِلَالِهَا عَلَيْهِ ، وَبَدَأَ الْبَيْتُ أَنْ يَقَا . وَكُنْتُ حَرِيصًا وَأَنَا
الْتَقِطُ الصُّورَةَ ، فَقَدْ كُنْتُ أَرِيدُ أَنْ أَخْذَ صُورَةَ رَائِعَةٍ بِحَقٍّ .

بَعْدَ ذَلِكَ وَضَعْتُ آلَةَ التَّصْوِيرِ حَابِيًا ، وَنَزَلْتُ إِلَى أَسْفَلُ فَوَحَدْتُ
جَاكَ وَحَدَّهُ فِي الْمَطْبَخِ ، فَسَأَلَنِي : « مَاذَا بِكَ ؟ إِنَّكَ تَبْدُو مُرْهَقًا ! »

« إِنِّي لَمْ أَنْمَ جَيِّدًا . »

قَالَ : « وَأَنِّي كَذَلِكَ ، وَلَمَّا جَعَلْتُهَا تَنَقَّى فِي الْفِرَاشِ ، لَقَدْ رَأَيْتُ
أَحْلَامًا مُزَعِجَةً ، وَأَطْنُ أَنَّهُ رَأَيْتُ فِي أَحْلَامِهَا تِلْكَ الْعَجُوزَ الَّتِي
كَانَتْ نَعِيشُ قُبَالَتَنَا . »

وَلَمْ تُكْثِرْ أَنِّي مِنَ الْكَلَامِ أَثَاءَ الطَّعَامِ ، وَلَمَّا فَرَعْنَا مِنْ إِفْطَارِنَا
رَحْتُ أَسْأَلُهُ : « جَاكَ ، أَخْبِرْنِي عَنِ السَّيِّدَةِ وُودَ . لِمَ غَضِبْتَ عِنْدَمَا
كُنْتُ أَنْتَ وَأَنِّي تَتَحَدَّثَانِ عَنْهَا ؟ »

أَجَابَ : « لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ حِمَاقَةً مِنِّي ، فَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي أَنْ
أَفْعَلَ بِهَذَا الشَّكْلِ ، فَهِيَ ، مَعَ كُلِّ هَذَا ، لَيْسَتْ هُنَا الْآنَ . إِنَّهَا
بَعِيدَةٌ عَنَّا ، إِنَّهَا فِي أَسْتْرَالِيَا . »

قُلْتُ : « إِنَّكَ لَمْ تُجِبْ عَن سُؤَالِي . إِنَّهَا امْرَأَةٌ عَجُوزٌ وَهِيَ بَعِيدَةٌ
عَنَّا ، وَلَكِنَّكَ أَنْتَ وَأَنِّي تَتَحَدَّثَانِ بِسَبَبِهَا ، فَلِمَذَا ؟ »

« سَأَحْبِرُكَ : لَقَدْ حَاوَلْتُ أَنِّي دَائِمًا مُسَاعِدَتَهَا ، وَكَانَتْ تَرُورُهَا
مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ ، وَتَبْتَاعُ لَهَا مَا تَحْتَاجُهُ وَتَطْهَرُ لَهَا الطَّعَامَ ،
كَانَتْ تَجْلِسُ مَعَهَا وَتُسَرِّي عَنْهَا بِالْحَدِيثِ ، أَقْصِدُ أَنْ أَقُولَ إِنَّهَا
كَانَتْ مَعَهَا وَتُصِيبُ إِلَيْهَا ، فَقَدْ كَانَتْ الْعَجُوزُ تَتَكَلَّمُ أَكْثَرَ مِمَّا
نَسْمَعُ . »

« وَأَنْتَ ، أَلَمْ تَزُرْهَا مَعَ أَنِّي ؟ »

« نَعَمْ . إِنِّي لَمْ أَكُنْ أَحِبُّ السَّيِّدَةَ وُودَ قَطُّ ، وَلَمْ أَكُنْ أُوَافِقُ
عَلَى أَنْ تَقْصِيَّ أَنِّي وَقْتًُا طَوِيلًا مَعَهَا . وَكُنْتُ مُصِيبًا ، فَقَدْ أَسَاءْتُ
فِي النِّهَايَةِ إِلَيْهَا . »

وَأَمْسَكَ جَاكَ عَنِ الْكَلَامِ ، فَأَنْتَظَرْتُ حَتَّى يُكْمِلَ قِصَّتَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ
كَانَ يُحَدِّثُ إِلَى نَافِذَةِ الْمَطْبَخِ لَقَدْ نَسِيَ أَنَّنِي حَالِسٌ مَعَهُ .

قُلْتُ : « جَاكَ ! إِنِّي مُنْتَظِرٌ أَنْ تُكْمِلَ قِصَّتَكَ . »

الْفَتَى إِلَيَّ قَائِلًا : « دَاتَ يَوْمٍ عَادَتْ أَنِّي مِنْ زِيَارَةِ السَّيِّدَةِ وُودَ ،
كَانَتْ تَبْدُو مُرْهَقَةً وَمَرِيضَةً . وَلَمَّا سَأَلْتُهَا عَمَّا حَدَثَ ، تَجَبَّبَتْ أَنْ

تقول شيئاً ، ولكي حملتها تتكلم ، فقالت إن السيدة وود كانت
فظة وعيفة بطريقة أحافتها ولم تذهب أي إليها بعد ذلك قط ،
لأنها لم تستطع نسيان ما قالت لها .

لم تكن قصة حاك واضحة تماماً ، ولكي أتت جيداً ،
فقهمت فحواها . لقد كانت المرأة العجوز تعرف أن جاك لا
يحبها ، فقالت لآبي إنها تكرهه . أما آبي فقد حاولت التعلل بأن
السيدة وود لا تفهم روحها ، وأنه رجل طيب القلب ، غير أن
العجوز لم تعرفها أدنا مصيبة ، وإنما صرخت في وجهها ،
ووصفتها بأنها شريرة مثل زوجها ، وأنها ستطردهما من دارهما

وانتظرت حتى فرغ حاك من كلامه ثم قلت : « إنها قصة جد
بعضية » والسيدة وود امرأة عجوز مزعجة ، ولكي لا أفهم لماذا
تركتها هذه المرأة نسيب لكما هذا الإزعاج ؟ لقد رحلت ، ولن
تستطيع يذاءكما ، حتى وإن كانت هـا . إنها عجوز سخيفة
عصبية »

ونظر حاك إلي وسألني : « ما الذي منعت من النوم الليلة
الماضية ؟ »

لم أستمع بعطلي رغم أني عملت كل الأشياء التي اعتدت أن

عملها . فقد سرت مسافات طويلة ، والتقطت صوراً تذكارية ،
ودرست تاريخ بورتشيستر ، ومع ذلك لم أستمع بها .

لقد كان حاك وروحه جد لطيف ، معي وطلبنا مشعوفين
بعضنا بعضاً كما كنا من قبل ، غير أنه كان ثمة خلل ، أو شيء
من التوتر يشوب علاقتهما . وكانا يتشاجران ، وكفا عن الجلوس
ليلاً لتبادل الحديث بجوار المدفأة . وكانا يقفان ويحملقان من
حلال النافذة الأمامية إلى بيت السيدة وود . وكنت كلما أويت
إلى فراشي خيل إلي أني أرى وجهها يطل من نافذتها . وأصحت
أطلع إلى العودة لبيتي ، وعمرتي الفرحة عندما انتهت عطفتي ،
وأصبح في مقدوري الهرب من بورتشيستر .

وعجزت عن مساعدة جاك وآبي ، فقد حاولت التقريب بينهما
دون جدوى .

وبعد أن عدت إلى بيتي ببضعة أيام ، جاء موزع البريد وسلمني
الصور التي كنت قد التقطتها هناك . وكنت قد أرسلت لأفلام
بالبريد قبل أن أغادر بورتشيستر ، وها هي دي أمامي لأراها . وكنت
عادة أسارع إلى رؤية الصور التي التقطتها ، فلم أكن أطيع الانتظار .
أما الآن فقد تملكني الخوف ، ووقفت أحملق إلى ربطة الصور دون



أَنْ أُحَرِّوْ عَلَى فَتْحِهَا ؛ إِذْ كُنْتُ أَحْشَى مِمَّا سَأَرَاهُ

وَأَخِيرًا اسْتَجَمَعْتُ شِجَاعَتِي ، وَحَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى فِكِّ الرِّبْطَةِ .
وَرَحْتُ أَفْتَشُ فِي بَطْنِ غَرِّ الصُّورَةِ الَّتِي كُنْتُ أَحْشَى رُؤْيَتِهَا .
كَانَتْ أَمَامِي هُنَاكَ - أَقْصِدُ الصُّورَةَ الَّتِي كُنْتُ حَذَّ حَرِيصٍ وَأَمَّا
الَّتَقِطُهَا - صُورَةُ مَثَرِ السَّيِّدَةِ وُودَ . وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا وَاضِحًا
تَمَامًا . الْحَدِيقَةُ ، وَالشَّجَرَةُ ، وَالْبَابُ الْأَمَامِيُّ . وَفِي بَافِدَةٍ بِالطَّائِقِ
الْعُلُويِّ كَانَ ثَمَّةُ وَحَّةٍ لَامِرَّةٍ عَحْوٍ تُحْمِلُ مِنْ خِلَالِ الرُّجَاحِ !

وَكُنْتُ مُمَسِّكًا بِتِلْكَ الصُّورَةِ الْمُرْعَةِ عِنْدَمَا فُتِحَ بَابُ شَقَّتِي
بِعُفٍّ ، وَإِذَا بِجَاكِ يَتَدَفَّعُ دَاخِلَهَا . وَكَانَ يَبْدُو مُهْتَاكِ ، وَكَانَتْ
مَلَامَحَةُ تَبْدُو عَرِيَّةً ، حَتَّى إِنِّي كِدْتُ لَا أَتَعَرَّفُ عَلَيْهِ ، وَحَاوَلْتُ
إِخْفَاءَ الصُّورَةِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَسْرَعَ مِنِّي ، فَقَدْ اسْتَرَعَهَا مِنْ بَدْيِ .

قَالَ : « أَنْظُرْ ، هَا هِيَ دِي . إِنَّ ذَلِكَ الْكَائِسَ الَّذِي يَتَطَلَّعُ مِنْ
خِلَالِ النَّافِذَةِ هُوَ السَّيِّدَةُ وُودَ . »

« لَكِنْ ، يَا حَاكِ ، هَذَا غَيْرُ مُمَكِّنٍ ! فَإِنَّهَا بَعِيدَةٌ حَذًّا عَنْ هَا .
إِنَّهَا .. »

وَلَمْ يَدْعُنِي أُنْمِ كَلَامِي . وَلَنْ أُنْسَى مَا حَيَّيْتُ كِمَاتِهِ ، وَلَا
الطُّورَةَ الْمُرْعَةَ الَّتِي ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ .

قَالَ : « لَقَدْ مَاتَ السَّيِّدَةُ وُودَ ، يَا بَل ، فِي أَسْتْرَالِيَا فِي الْيَوْمِ
الَّذِي حُتَّ فِيهِ أَنْتَ إِلَى هُورْتِشِيسترَ أَوَّلَ مَرَّةٍ لِقِصَاءِ عَطَلَتِكَ وَقَدْ
عَلِمْنَا بِالْخَبَرِ بَعْدَ أَنْ سَافَرْتَ بِفَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ . »

أَشَرْتُ إِلَى الْوَحَّةِ الْمُطْلُ مِنْ النَّافِذَةِ وَأَنَا أَقُولُ بِدَهْشَةٍ « مَاذَا ؟ »
كَيْفَ تَقْسِرُ هَذَا ؟ !

« لَا أَعْرِفُ .. لَا أَسْتَطِيعُ .. كُلُّ مَا أَعْرِفُهُ أَنَّهَا عَادَتْ إِلَى بَيْتِهَا »

وَعَمَّرَني الحَوْفُ مِنْ حديدٍ ، وَصِحتُ : « آني ! كَيْفَ حالُ آني
يا حاك ؟ هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ السَّيِّدَةَ وُودَ عادتْ إلى بَيْتِها ؟ »

شَبَحُ الحَدِيقَةِ

وَبَدَتْ عَلَيْهِ غَلَاماتُ الشَّيْخُوحةِ وَالمرضِ ، وَحِيلَ إلى آتِه سَيْسَقَطُ
على الأَرْضِ ، فَأَمْسَكَتْ بِذِرَاعِهِ وَمَصَّيْتُ بِهِ إلى كُرْسِيِّ . وَأَحيراً
تَكَلَّمْتُ ، وَكَانَ صَوْتُهُ ضَعِيفاً إلى حَدِّ أَنْي كِدْتُ لَا أَسْمَعُهُ .

قالَ : « لَقَدْ سَمِعْتُ في اللَّيْلَةِ الماضِيَةِ طَرْقاً على البابِ ، فَمَضَيْتُ
أني لِتَفْتَحَهُ . وَكُنْتُ أَنَا في المَطْبخِ ، وَلَكِنِّي اسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْمَعَ
صَوْتِها وَهي تَصْرُخُ ، وَكَانَتْ صَرْخَةُ فَرْعٍ عَالِيَةٍ لَنْ أَتِياها ما
حَيَّتْ . لَقَدْ قالَتْ : « السَّيِّدَةُ وُودَ ! لَقَدْ عُدْتُ إلى البَيْتِ ! »

« وَهَرَعْتُ إلى البابِ حَيْثُ وَحدْتُ أَني مُلْقاةً هُناكَ وَقَدْ فارَقْتُها
الحياةَ . وَقَدْ قالَ لي الطَّيِّبُ إِنَّها ماتَتْ مِنَ الرُّعْبِ . »

فَصِيتُ حَيَاتِي في كَفاحٍ وَكَدٍ ، حَتَّى إذا ما نَلَعْتُ السَّيِّئِ
وَأَنَّ أَنْ اسْتَرِيحَ مِنْ عَناءِ العَمَلِ ، فَبِعْتُ بَيْتِي في المَدِينَةِ ، وَاسْتَرَيْتُ
في الرِّيفِ ، فَقَدْ كُنْتُ تَوَاقِفاً دائِماً إلى حَيَاةِ الرِّيفِ . وَأَرَدْتُ أَنْ
نَسْتَمِيعَ بِهَدْوِئِهِ مِنْ بَعْدِ صَحْبِ المَدِينَةِ وَسُرْعَةِ إيقاعِ الحَيَاةِ فيها .
كَانَتْ أَرْعَبُ في أَنْ يَكُونَ لَدَيَّ حَدِيقَةٌ كَثيرَةٌ أَزْرَعُ فيها الأزْهارَ
وَالْحَصْرَاوَاتِ . وَواقَفْتُ زَوْجَتِي ، فَقَدْ وُلِدَتْ في الرِّيفِ ، وَكَانَتْ
مُحِبَّةً على العَوْدَةِ لِحَيَاةِ الهُدُوءِ ، وَكَانَتْ تُشارِكُنِي شَغْفي بِزِراةِ
الزَّيْتُونِ . وَداتْ يَوْمَ أَهَيْتُ إِلَيْها خَبراً سَرَّها ، وَهُوَ أَنِّي ادَّخَرْتُ مِنْ
مُجَدِّ ما يَكْفِينِي مَثْوًى العَمَلِ .

ماتَتْ لي زَوْجَتِي : « لَقَدْ كُنْتُ أَتَطَلَّعُ إلى دِلِّكَ ، يا هَرِّي ،
مِنْ سَوَاتِرِ . وَقَدْ كُنَّا دائِماً مُتَّفَقَيْنِ في المِشارِبِ وَالاهْتِمَاماتِ .
« لَنْ حانَ الوَقْتُ الَّذِي نَسْتَمِيعُ فيه بِالحَيَاةِ معاً »

وعندما لمحا اللافتة المكتوب عليها للبيع خارج « ساموير »
نظر كل منا إلى الآخر وقال : « إن هذه الدار لنا ، ولا بد أن
نشتريها . »

ولم نساوم في الثمن ، فقد بدا لنا رخيصاً ، وكنا نريد
« ساموير » بأي ثمن حتى وإن كان عالياً ، فلم تكن في بيتنا
أبنة . وهكذا انتهى بحثنا الطويل ، ودفعنا الثمن وشرينا الدار
التي كنا نحلم بها .

وانتقلنا إلى « ساموير » في أواخر فصل الربيع . وكان ثمة
عمال كثيرة يقوم بها في الدار الجديدة ، كما هي الحال دائماً
عندما تنتقل من دار إلى أخرى . وقد كنا نعيش في لمدينة في شقة
عسرية ، أما « ساموير » فكانت داراً من الطراز القديم ، فاشترينا
مباصد ومقاعد ، وحرارات وأسرّة تناسب مع « ساموير » ، وكان
« ساموير » أن يشتري سحاحيد أيضاً وستائر للسوافد . وكنا حد حريصين
على أن يوضع كل شيء في مكانه وأن يبدو جميلاً ، فهي دارنا
التي ستقضي فيها بقية حياتنا .

وفصينا الربيع والصيف من ذلك العام بعمل في الحديقة وحد

وهكذا بدأ البحث عن دار مناسبة في الريف ، وما كان العثور
على الدار المطلوبة بالأمر الهين . ولم تكن نريد داراً كبيرة بل
حديقة كبيرة . وكنا نريدها داراً مشمسة . وقد سافرتنا ساعات طويلة
نرى البيوت المعروضة للبيع . وكنا كلما رأينا لافتة مكتوباً عليها
« للبيع » خارج إحدى الدور توقفاً لنلقي نظرة على تلك الدار ،
غير أنها لم تكن نفعنا . وقد أضلنا البحث الدؤوب عدة أشهر
ولو لم تكن متفقيين في الرأي حول نوع المنزل الذي نريده
لاختصمنا ، بيد أننا كنا نعرف جيداً ما نريد ، وكنا موقنين أننا
سنجد ضالتنا .

وقال كل منا للآخر « ينبغي ألا تكف عن السعي فمن
المحتمل أن تكون الدار القادمة هي التي سنندها . »

وأخيراً عثرنا على الدار التي كنا نحلم بها ؛ فهي إحدى القرى
في هامبشاير ، وعلى مسافة ثمانين كيلو متراً من لندن اكتشفنا
« ساموير » . وكانت داراً بالسعة المشوذة ، مبنية من الحجارة ،
ودافئة بعمرها صوء الشمس ، ومريحة للغاية . وكانت ثمة حديقة
صغيرة تين واحدة الدار وشارع القرية الهادئ ، وممشى يؤدي إلى
درج الباب الأمامي . أما في الحلف فكانت ثمة حديقة واسعة مليئة
بأشجار الفاكهة والأزهار . وكانت الشمس مشرقة والحديقة بعمرها

واحتهاد . وكان الطقسُ جافاً ودافئاً ، ولهذا كُنّا نشتعِلُ فيها طوالَ
اليوم . وكثيراً ما كُنّا نعملُ بلا توقُّفٍ إلى أن يَجُزَّ الليلُ . ولأنَّ
المزَلَّ كان حاليّاً من السكّانِ لِعِدَّةِ سَوَاتٍ ، فَقَدْ كَانَتِ الحَدِيقَةُ
مُهْمَلَةً وَتَحْتَاحُ إِلَى عَمَلٍ مُتَوَاصِلٍ . فَرَحْنَا نَحْفِرُ أَحْوَاصاً لِلزُّهُورِ
وَأُخْرَى لِلْحَصْرَاوَاتِ ، وَنَقْلُمُ الأشجارَ وَالشَّجِيرَاتِ وَغَرَسْنَا بُرُوراً
وَرَرَعْنَا أَرْهَاراً جَدِيدَةً . وَقَبْلَ انْتِهَاءِ شَهْرِ أَغُسْطُسَ (أَب) كُنّا مَوْقِفِينَ
بأنَّ حَدِيقَتَنَا لَنْ تَقِلَّ جَمَالاً عَنْ بَيْتِنَا .

وَدَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ شَهْرِ سِبْتَمْبَرِ (أَيُّوَل) ، كُنْتُ أَشْتَعِلُ بِمُفْرَدِي
فِي الحَدِيقَةِ ، وَكَانَتِ السَّاعَةُ تُشِيرُ إِلَى الحَامِسَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ ، وَكَانَتْ
رُوحَتِي قَدْ دَخَلَتْ الْمَنْزَلَ لِإِعْدَادِ الشَّايِ لَنَا ، فَسَمِعْتُهَا تُنَادِينِي مِنْ
شَنَّاكَ عَرْقَةِ الْخُلُوسِ الْمَفْتُوحِ قَائِلَةً : « الشَّايُّ حَاضِرٌ يَا هَرِي ، وَعَبْدُنَا
إِثَر . لَقَدْ جَاءَ السَّيِّدُ بَارْنَزُ وَاعْطَى الْقَرْيَةَ لِيُورَا ، وَسَوْفَ يَتَنَاوَلُ
الشَّايَ مَعَنَا . »

وَدَخَلْتُ الْبَيْتَ ، وَصَافَحْتُهُ قَائِلَةً : « لَقَدْ سَعِدْتُ لِمَجِيئِكَ
يَا سَيِّدُ بَارْنَزُ . أَنَا وَجَوَانُ مَسْرُورَانِ لِمَزِيَارَتِكَ لَنَا فِي بَيْتِنَا . »

أَحَابُ : « إِنُّهَا لِدَارُ عَتِيقَةٍ حَمِيلَةٍ ، وَكُلُّ اسَّاسٍ فِي الْقَرْيَةِ حَدُّ
مَرْحَبٍ بِقُدُومِكُمَا لِتَعِيشَا هُنَا . إِنُّكُمَا تُحَدِّثَانِ تَغْيِيرًا مُدْهِشًا بِالْأَدَارِ



وَالْحَدِيقَةُ يَا سَيِّدُ تَشَابُحَان .

قُلْتُ « شُكْرًا لَكَ ، وَبِحَبْ نَعْدُ تَنَاوُلُ الشَّيْ أَنْ نَرَى الْحَدِيقَةَ الْكُبْرَى ، فَإِنَّ لَمْ تَرَ إِلَّا الْحَدِيقَةَ الصَّغِيرَةَ الْأَمَامِيَّةَ »

أَحَاب : « إِنَّهُ لَيْسَ بِي ذَلِكَ ، فَأَنَا مَوْلَعٌ بِالْحَدَائِقِ ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَمْلِكُ الْوَقْتَ الْكَافِيَ لِلْعِنَايَةِ بِحَدِيقَتِي .

قَالَتْ حُوَال : « لَا نَدَّ أَنْ مَشَاعِلَكَ كَثِيرَةٌ أَزُورُ مُعْظَمَ السُّكَّانِ فِي الْقَرْيَةِ ؟ »

« بَنِي أَحَاوُلُ أَنْ أُرْوِرَهُمْ كُلَّهُمْ وَأَعْتَقِدُ أَنَّ عَلَى وَاعِظِ الْقَرْيَةِ أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ أَمْرٍ يَعْشُرُ فِيهَا ، فَهَذَا نَظَرٌ مِنْهُمْ جَدًّا مِنْ عَمَلِهِ وَأَنَا لَمْ آتِ لِرِيَارَتِكَ أَنْتَ وَالسَّيِّدُ تَشَابُحَانِ قُلُ الْيَوْمَ لَأَنِّي أَعْرِفُ كَمْ أَنْتُمَا مَشْغُولَان .

وَفِي أَثْنَاءِ تَنَاوُلِنَا الشَّيْ رُحْنَا نَتَجَادَّبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ عَنِ الْقَرْيَةِ وَتَارِيخِهَا . وَكَانَ السَّيِّدُ بَارِزُ يَعْرِفُ الْكَثِيرَ عَنِ الْأَسْرِ الْقَدِيمَةِ ، وَطَفِيقُ يَرْوِي لَنَا قِصَصًا مُمْتَعَةً عَنِ الْمَاضِي . وَكَانَ يَعْرِفُ تَارِيخَ بُيُوتِ الْقَرْيَةِ وَمَرَارِعَهَا وَقَدْ أَحْسَنَتْهُ أُمَّا وَحُوَال ، فَهُوَ رَحْلٌ حَلَّوُ الْمَعْشَرِ ، يُحِبُّ الْقَرْيَةَ وَسُكَّانَهَا . وَكَانَ يَدُو عَلَيْهِ أَنَّهُ إِنْسَانٌ طَيِّبٌ وَرَفِيقٌ ، وَوَاعِظٌ بَارِعٌ .

وَلَمَّا فَرَعْنَا مِنْ تَنَاوُلِ الشَّيْ مَضَيْنَا إِلَى الْحَدِيقَةِ . وَكَانَ السَّيِّدُ بَارِزُ يَعْرِفُ الْكَثِيرَ عَنِ الْحَدَائِقِ كَمَا كَانَ عَالِمًا فِي التَّارِيخِ . وَقَدْ أَشَادَ بِالتَّعْبِيرَاتِ الَّتِي أَحَدَّثْنَاهَا مِمَّا أَفْعَمْنَا بِالسُّرُورِ ، فَأَصْحَابُ الْحَدَائِقِ يُحْتَوِلُونَ دَائِمًا الْحَدِيثَ عَنْ حَدَائِقِهِمْ . وَنَدَا عَلَيْهِ الْإِعْجَابُ أَيْضًا بِالْعَمَلِ الَّذِي عَمَلْنَاهُ ، فَرَادَ هَذَا مِنْ سُرُورِنَا ، وَجَعَلْنَا نُحِبُّ الرَّجُلَ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ .

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ اسْتَأْذِنَا فِي الْأَنْصُرَافِ ، فَدَهَبْنَا مَعَهُ لِتَوْدِيعِهِ عِنْدَ بَابِ الْبَيْتِ

سَأَلَنَا السَّيِّدُ بَارِزُ قُلُ أَنْ يُنْصَرَفَ . « هَلْ تَعْرِفَانِ مِنْ أَيْنَ لِمَنْزِلِكُمَا هَذَا الْأَسْمُ الْغَرِيبُ ؟ »

أَحَابُ حُوَال : « لَا ، لَا نَعْرِفُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْأَلُ : أَتَعْرِفُ أَنْتَ ذَلِكَ ؟ »

قَالَ السَّيِّدُ بَارِزُ : « لَقَدْ سَأَهُ رَحْلٌ يُدْعَى سَامُوِيرُ . وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ فِي الرِّيفِ عَلَى أَنْ تُسَمَّى الدَّارُ بِاسْمِ مَنْ شِيدَهَا ، وَدَارُكُمَا هَذِهِ قَدْ شِيدَهَا رَحْلٌ يُدْعَى إِلْيَحَا سَامُوِيرُ مِنْذُ ثَلَاثِمِئَةِ سَنَةٍ تَقْرِيْبًا . وَقَدْ بَايَا لِنَفْسِهِ ، فَقَدْ كَانَ رَحْلًا ثَرِيًّا ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَاشَ هُنَا . »

سَأَلَتْهُ : « هَلْ كَانَتْ لَهُ أُسْرَةٌ ؟ »

« لا ، بَلْ عَاشَ هُنَا ، بِلا رَوْحَةٍ وَلَا وَلَدٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِوَى خَادِمٍ مُسِينٍ يَقُومُ بِحَاجَاتِهِ . »

سَأَلَتْهُ جُوان : « مَاذَا حَدَّثَ عِنْدَمَا مَاتَ إِلَيُّجَا سَامُويزَ هَذَا ؟ »

« لَقَدْ بَاعَتْ دَارَهُ ، وَلَمْ يَسْكُنْهَا مُنْذُ وَفَاتِهِ أَحَدٌ بِهَذَا الْاسْمِ ، لَكِنَّا كُنَّا اشْتَرَيْنَاهَا دَارَهُ وَلَا يَزَالُ اسْمُهَا « سَامُويز » وَأَرَى أَنَّهُ اسْمٌ لَطِيفٌ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

وَكَانَ رَأْيُنَا مُمَازِلًا لِرَأْيِهِ ، فَوَافَقْنَاهُ عَلَى مَا قَالَ ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ شَيْئًا آخَرَ .

قُلْتُ : « يَا سَيِّدُ بَارْبِر ، ثَمَّةُ مُهِمَّةٍ أُخْرَى ضَخْمَةٌ أَمَامَنَا عَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِهَا فِي الْحَدِيقَةِ . أَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ . » وَأَشَرْتُ إِلَى شَجَرَةٍ دَرْدَارٍ قَائِمَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْ جِدَارِ الدَّارِ ، وَكَانَتْ بِارْتِفَاعِ الدَّارِ دَاتِهَا ، وَتَكَادُ أَغْصَانُهَا تَلَامِسُ نَافِذَةَ عُرْفَةِ النَّوْمِ .

قُلْتُ : « لَا بُدَّ أَنْ نَقْطَعَهَا ، فَإِنَّهَا جِدُّ قَرْيَةٍ مِنَ الدَّارِ ، وَسَوْفَ تُشَكِّلُ خَطَرًا عِنْدَمَا تَبْدَأُ رِيَاحُ الشِّتَاءِ فِي الْهُبوبِ . »

وَقَبْلَ أَنْ يَفْتَحَ السَّيِّدُ بَارْبِرَ فَمَهُ بِكَلِمَةٍ قَالَتْ جُوان : « لَا

بَا هَتْرِي ! لَقَدْ نَاقَشْنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مِنْ قَبْلُ . » ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَى الرَّحْلِ قَائِلَةً . « قُلْ لَهُ إِنَّهُ مُحْطِئٌ يَا سَيِّدُ بَارْبِر . إِنَّهَا شَجَرَةٌ جَمِيلَةٌ قَوِيَّةٌ وَسَلِيمَةٌ ، وَمِنْ الْعَارِ أَنْ نَقْطَعَهَا . »

أَمَّا بَارْبِرُ فَزَاحَ يَتَطَلَّعُ إِلَى الشَّجَرَةِ طَوِيلًا ، وَبَدَأَ أَنَّهُ حَائِرٌ فِيمَا يَقُولُ . وَأَخِيرًا تَحَدَّثَ إِلَيَّ بِطَوِيلٍ قَائِلًا : « يَحِبُّ أَنْ أَقُولَ لِسَيِّدِي أَوْافِقُ رَوْحَتَكَ عَلَى أَنَّهَا شَجَرَةٌ جَمِيلَةٌ ، وَلَسْتُ أَطْنُ أَنَّهَا حَظِيرَةٌ ، وَبِمُحْكَمِكَ أَنْ تَقْلَمَ تِلْكَ الْأَغْصَانِ الْعُلْيَا إِذَا كُنْتَ تَطْرُقُ أَنَّهَا مُفْرَطَةٌ فِي الطُّولِ ، وَلَكِنْ إِذَا أَحَدْتُ بِمُصِيبَتِي فَاتْرِكِ الشَّجَرَةَ كَمَا هِيَ . لَقَدْ كَانَتْ هَا قَبْلَ أَنْ يَنْبِي إِلَيُّجَا سَامُويزَ الدَّارِ . »

قُلْتُ : « لَكَ ذَلِكَ . لَنْ نَتَعَجَّلَ عَمَلُ شَيْءٍ ، وَلَسَوْفَ نَشْطُرُ حَتَّى يَحِلَّ الشِّتَاءُ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ قَرَارًا . »

حَاءَ الشِّتَاءِ مُتَأَخِّرًا تِلْكَ السَّيَّةُ ، وَتَبَعَ الصَّيْفُ الطَّوِيلُ خَرِيفٌ رَافِيٌّ حَافٍ . وَكَانَ شَعْلُنَا فِي الْحَدِيقَةِ مُصْطَرِّ سَعَادَةٍ جَمَّةٍ لَنَا ، وَلَمْ نُفَكِّرْ فِي شَجَرَةِ الدَّرْدَارِ فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الطَّوِيلَةِ .

وَعِنْدَهَا ، فِي أَوَائِلِ شَهْرِ نَوْفَمْبَرٍ ، شَرَعَتِ الرِّيَّاحُ تَهْبُطُ مُصْحَبَةً بِمُصْرٍ لَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ ، وَكُنَّا نَجْلِسُ فِي عُرْفَةِ خَلُوسَا الْمَرِيحَةِ أَثْنَاءَ النَّهَارِ ، نَطَالِعُ وَنَسْتَمِعُ إِلَى الْمَوْسِيقَى وَالْإِدَاعَةِ

وفي مساء كُنّا نشاؤل عشاءنا وبأوي إلى الفراش مُكترين . وكُنْتُ
في بعض الأحيان ، في النهار ، أَلَسُ بِمَقْطَعِ المطرِ وأَدْخُلُ الحديقة ،
ولم يكن في مقدوري أن أقوم بأي عمل فيها ، ولكني كُنْتُ أَنَامُلُ
شجرة الدردار التي كُلَّمَا هَتَّ الرِّيحُ بِقُوَّةٍ جعلت أغصانها تهتُّ .
وكُنْتُ هذه الأغصان تُشبه الأذرعَ عندما تتحركُ في الهواءِ عاليًا
فوق رأسي ، وَكَانَتْ تَبْدُو كَأَنَّمَا نَعَتْ إِلَيَّ بِرِسَالَةٍ لَمْ أَكُنْ أَستطيعُ
أن أفهمَ رُموزَها . وَكُنْتُ أحيانًا أَقفُ هناكَ مُدَّةَ طويَلةٍ أَحدقُ إلى
الشجرة مُحاولًا استِكناءَ سِرِّها .

ودات يوم ، بعد أن قصيتُ مُدَّةَ أطول من المعتاد بحوارها ،
بادتني حوار من داخل البيت قائلة : « هيري ، ماذا تفعلُ عندك
تحتِ المِصر ؟ إنَّ الماءَ سيَبلُغُ ثِيابَكَ . »
أحبَّتها . « إني قادمٌ يا عزيزتي »

لكُنِّي قبل أن أعود إلى البيتِ أَحصرتُ مُشاري الكبير ونسَلَقْتُ
الشجرة ، فقطعتُ العُصْبَ القريبين من نافذة عُرْفَةِ نوما . وكان
السيدُ ناررُ مُصيبًا ، فالشجرة قوَّةٌ وسليمةٌ ، ولا داعي لقطعها ، بيدَ
نِي شَعَرْتُ بالأمان أكثرَ بعد قطع هذين العُصْبَ .

وأخبرتُ جُوانَ بِمَا فَعَلْتُ فابْتَسَمَتْ قائلةً : « إِنَّهُ لَيَسْعِدُنِي أَنَّكَ

تَوَافَقْنِي عَلَى رَأْيِي يَا هَنْرِي ، فَالشَّحَرَةُ لَيْسَتْ حَظِيرَةً . وَالْآنَ احْلَعْ
مِعْطَفَكَ الْمُبْتَلَّ وَتَاولَ فِتْحَانًا مِنَ الْقَهْوَةِ .

حَلَعْتُ الْمِعْطَفَ ، وَحَلَسْنَا مُتَهَيِّجِينَ أَمَامَ مَذْفَأَةِ حُجْرَةِ الْحُلُوسِ .
وَكَأَنَّ سَعِيدَيْنِ لَأَنَّا كُنَّا مُتَفَقِّهَيْنِ ، فَقَدْ حَلَّتْ مُشْكِلَةُ شَحَرَةِ الدَّرْدَارِ .

وَفِي أَوَاخِرِ يَوْفَمَبْرِ ارْدَادَتِ الْعَوَاصِفُ سُوءًا ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَتْ
الرَّيْحُ تَزْدَادُ شِدَّةً حَتَّى إِذَا سَكَتَ انْهَمَرَ الْمَطَرُ بِشِدَّةٍ ، ثُمَّ عَادَتْ نَهَبُ
مِنْ جَدِيدٍ . وَكَأَنَّ تَرْقُدُ فِي فِرَاشِنَا لَيْلًا وَنُصْفِي إِلَى الْعَوَاصِفِ ، إِلَى
أَنْ نَسْتَعْرِقَ فِي النَّوْمِ ، وَغَوِيلُ الرَّيْحِ يُدَوِّي فِي آدَاسَا ، وَنَسْمَعُهُ فِي
أَحْلَامِنَا .

وَفِي الثَّلَاثِينَ مِنْ شَهْرِ يَوْفَمَبْرِ وَهُوَ يَوْمٌ لَا تَسَاءُ - صَحُوتُ
فِي مُتَنَصِّفِ اللَّيْلِ ، وَكَانَ الْمَصْنُوحُ الْمَوْصُوعُ عَلَى الْمِصْدَةِ الْمُحَاوِرَةِ
بِفِرَاشِ حُوالِ مُصَاءٍ ، وَكَانَتْ هِيَ حَالِسَةً فِي الْفِرَاشِ .

سَأَلْتُهَا : « مَاذَا بِكَ ؟ أَلَا نَسْتَطِيعِينَ النَّوْمَ ؟ »

« أَصُمْتُ ! اِسْمَعِ ! »

رَقَدْتُ سَاكِئًا وَأَرْهَقْتُ اِسْمَعًا ، فَلَمْ أَسْمَعْ سِوَى صَفِيرِ الرَّيْحِ

سَأَلْتُهَا ثَانِيَةً : « مَاذَا بِكَ ؟ مِمَّ أَنْتِ خَائِفَةٌ ؟ »

« ثَمَّةٌ ضَحَّةٌ لَا أَسْتَطِيعُ سَمَاعَهَا الْآنَ . وَلَكِنَّهَا أَبْقَطَتْني مِنْ
نَوْمِي . كَانَ ثَمَّةٌ شَخْصٌ مَا يَنْقُرُ عَلَى النَّافِذَةِ . »

قُلْتُ : « يَا عَزِيزَتِي جُوان ، لَا تَكُونِي سَادِحَةً ! لَقَدْ كُنْتُ
تَحْلُمِينَ . أَرْقُدِي وَبِأَمِي ، فَلَيْسَ ثَمَّةٌ مَا يُخِيفُ . »

« أَنَا لَسْتُ سَادِحَةً يَا هَنْرِي ! لَقَدْ سَمِعْتُهُ بِوُضُوحٍ . ثَمَّةٌ شَخْصٌ
أَوْ شَيْءٌ مَا يَنْقُرُ عَلَى تِلْكَ النَّافِذَةِ ، وَصَوْتُ النُّقْرِ أَعْلَى مِنْ صَفِيرِ
الرَّيْحِ . »

قُمْتُ مِنْ فِرَاشِي قَائِلًا : « إِنِّي بَارِلٌ إِلَى الْمَطْبِخِ وَسَاعِدُ لَكَ
شَرَابًا سَاخِنًا . إِنْ تَوَثَّرَ أَعْصَابُكَ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّوْمِ ، وَسَتَشْعُرِينَ
بِالرَّاحَةِ بَعْدَ أَنْ تَشْرَبِي كَوْبًا دَافِئًا مِنَ اللَّبَنِ . »

وَقَبْلَ أَنْ أَفْتَحَ بَابَ عُرْفَةِ النَّوْمِ نَادَتْني ، وَقَالَتْ لِي بِصَوْتٍ مُفْعَمٍ
بِالْخَوْفِ . « أَنَا قَادِمَةٌ مَعَكَ يَا هَنْرِي . لَا تَتْرَكْنِي هُنا وَحْدِي ،
لَا ... وَلَمْ تُكْمِلْ عِبَارَتَهَا . وَكَانَ وَجْهُهَا شَاحِبًا ، وَأَشَارَتْ بِإَصْبَعِهَا
إِلَى النَّافِذَةِ . »

فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ سَمِعْتُ النُّقْرَ هُناكَ عَلَى نَافِذَةِ عُرْفَةِ النَّوْمِ ، وَكَانَ
بَطِيئًا وَشَدِيدًا ، وَكَانَ صَوْتُهُ عَالِيًا حَتَّى إِنَّهُ طَغَى عَلَى صَفِيرِ الرَّيْحِ

وذهبت إلى النافذة ثم توقفت ، فقد تابعت النقرات بصوت
أعلى من ذي قبل . وشعرت بالخوف ، ولم أحرز على إراحة
الستائر وبالتالي على النظر من النافذة . لقد حسيت أن أرى شيئاً
يثير في نفسي الرعب .

وبينما أنا واقفة هناك عادت حوالم تتكلم ، فقالت : « لا تحف
يا هنري إني أعرف ما هذا ، إنها الأغصان الطويلة تحيط على
النافذة إن الريح نهت بعنف ، وهي تنهر الأغصان إلى أعلى وإلى
أسفل »

ولكنها نسيت أنني قد قطعت غصن بشكل لا يجعلهما
يصلان إلى النافذة . وكنت أعرف أن الأغصان ليست سب هذا
الصوت المزعج .

وقبل أن أدكرها تلك الحقيقة أراحت هي الستائر ، ثم نددت
عنها صرخة كاد قلبي يتوقف معها عن النقص

كان ثمة وحة يتطلع من خلال النافذة . وكان وحه رجل
عجوز . وكان شعره الأبيض الطويل يتطاير مع الريح ، وقد ألصق
رأسه برحاح النافذة ، ورفع يديه عالياً وأحد يحيط بهما على
النافذة .

وتقدمت خطوة وأنا أصبح . « بالله عليك ، شدي الستائر بيدي
وبنته ! »

وشددت الستائر فوق زجاج النافذة ، والتفت إلى حوالم ، التي
بهالكت على الفراش وأحفت وجهها بين كفيها ، فأحدثها بين
ذراعي ، قائلاً : « هيا بنا نذهب إلى المطبخ . إننا لا يمكننا البقاء في

هَذِهِ الْغُرْفَةُ . لَا ، لَا يُمَكِّنُنَا ذَلِكَ وَهَذَا الْوَحْدَةُ وَرَاءَ الْبَابِ .

وَوَضَعْتُ يَدَهَا فِي يَدِي ، وَسِرْتُ مَعَهَا حَتَّى الْبَابِ .

قَالَتْ : « عَيَّاهُ يَا هَرِّي ! هَلْ رَأَيْتَ عَيْنَيْهِ ؟ لَقَدْ كَانَا عَيْنَيْنِ
حَرِيَّتَيْنِ ... حَرِيَّتَيْنِ ! هَذَا فَطِيعٌ يَا هَرِّي ! إِنَّهُ شَبَحَ حَزِينَ ذَلِكَ
الَّذِي شَاهَدْنَاهُ ! »

وَطَلَعَ النَّهَارُ ، وَسَكَتَ الرِّيحُ . وَكَانَ الصَّبَاحُ بَارِدًا وَمُشْرِقًا ،
حَتَّى إِذَا حَلَّتِ السَّاعَةُ التَّاسِعَةُ اتَّصَلْتُ تَلِفُونِيًّا بِالسَّيِّدِ بَارِيزَ فَجَاءَ فِي
الْحَالِ ، وَتَنَاوَلَ الْقَهْوَةَ مَعًا وَهُوَ يَسْتَمِعُ إِلَى قِصَّتِنَا . وَعِنْدَمَا فَرَعْنَا
وَجْهَ إِلَيْنَا بَعْضَ الْأَسْئَلَةِ :

« أَتَقُولَانِ وَجْهَ رَجُلٍ عَجُوزٍ ؟ »

أَوْمَأْتُ بِرَأْسِي بِالْإِيجَابِ .

« أَلَمْ تَشَعْرِي طَوِيلَ أَيْضُ ؟ »

« نَعَمْ . »

« هَلْ كَانَ يَبْدُو عَلَيْهِ الْعَصَبُ ؟ هَلْ حَاوَلَ إِفْرَاعَكُمْ ؟ »

وَأَحَابَتُ جُوانَ عَنِ السُّؤَالِ قُلْتُ أَنَّ أَنْتِ بِنْتُ شَفَةِ : « لَا يَا
سَيِّدُ بَارِيزَ . إِنِّي مَوْفَقَةٌ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَاضِيًا . وَقَدْ أَفْرَعْنَا ، وَلَكِنْ دُونَ
قَصْدٍ . وَكَانَ وَجْهُهُ حَزِينًا لِلْعَايَةِ ، وَبَدَا وَكَأَنَّهُ يَسْأَلُنَا الْعَوْنَ . إِنِّي
أَشَعُرُ بِالْخَجَلِ لِأَنَّا لَمْ نُقَدِّمْ لَهُ الْعَوْنَ ، إِذْ كُنَّا مُرْتَعِبَيْنِ . »

أَحَابَ بَارِيزَ بِمُنْتَهَى اللَّطْفِ : « لَا تُنْحِيَا عَلَى نَفْسَيْكُمَا
بِالْإِثْمَةِ ! » ثُمَّ قَالَ مُحَاطِبًا زَوْجَتِي : « مِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَحَافَا ، وَأَيُّ
إِنْسَانٍ فِي مَكَائِكُمَا سَيَخَافُ ، وَلَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّكُمَا تَسْتَطِيعَانِ
مُسَاعَدَتَهُ . »

سَأَلْتُهُ : « مَا هُوَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ ؟ يَبْدُو أَنَّكَ تَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ
رَبِّكَ الرَّجُلِ ، وَ مِنْ الْأَفْضَلِ أَنْ تُخْبِرَنَا بِهِ . وَإِذَا تَكَرَّرَ هَذَا الْمَشْهُدُ
مَرَّةً ثَانِيَةً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْبَقَاءَ فِي هَذِهِ الدَّارِ . »

قَالَ : « أَطْنَنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكْشِفَ لَكُمَا السِّرَّ . لَقَدْ أَحْرَقْتُمَا
بِأَنَّ إِلَيْهَا سَامُوئِيلَ عَاشَرَ هُنَا مَعَ خَادِمٍ عَجُوزٍ ، وَلَمْ أَكْمِلْ لَكُمَا
الْقِصَّةَ ، وَعَلَيَّ أَنْ أَكْمِلَهَا الْآنَ : فِي إِحْدَى اللَّيَالِي قَتَلَ اللَّصُوصُ
إِلَيْهَا سَامُوئِيلَ وَسَرَقُوا كُلَّ ثَقُودِهِ ، وَلَمْ يُقْبَضْ عَلَى اللَّصُوصِ ، وَأَتَتْهُمْ
الْحَادِمُ زُوبِرْتُ فُورْمِشْتَرُ بِمُسَاعَدَتِهِمْ ؛ فَدَافَعَ الرَّجُلُ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ
مَرْبِيءٌ ، وَأَنَّهُ قَصَى لَيْلَتَهُ كُلَّهَا نَائِمًا وَلَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا . وَلَكِنَّهُ أَتَتْهُمْ

يَأْتِيهِ أَتَاخٌ لِلصَّوْصِ التَّسَلُّلِ إِلَى الدَّارِ . وَكَانَ رُوبِرْتٌ رَحُلًا مُعْدَمًا لَا
أَهْلًا لَهُ وَلَا أَصْدِقَاءَ ، فَلَمْ يُصَدِّقْ أَحَدًا أَنَّهُ بَرِيءٌ . وَقَدْ حَدَّثَ بَعْدَ
ذَلِكَ شَيْءٌ فَظِيحٌ ۝

قَالَتْ حُوانُ بِسْرَةَ هَادِيَّةٌ . « أَكْمِلْ مِنْ فَصْلِكَ . قُلْ لَنَا كُلُّ
شَيْءٍ ۝

قَالَ : « أَحَلْ ، لَا بُدَّ أَنْ أُحْكِي لَكُمْ كُلَّ شَيْءٍ ، بَيِّنْتُ أَنَّهَا قِصَّةُ
مُرْعِيَّةٍ . لَقَدْ قُتِلَ رُوبِرْتُ فُورِسْتِرُ فِي حَدِيقَةِ « سَامُويز » ، وَهُوَ يُكْرِّرُ
الْقَوْلَ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ ، لَكِنَّهُمْ شَقَوُهُ عَلَى شَجَرَةِ الدَّرْدَارِ . لَقَدْ هَرَبَ
الصَّوْصُ ، وَلَكِنْ إِنْسَانًا بَرِيئًا شَنِقَ ۝

سَأَلَتْهُ : « أُنَعْتَقِدُ أَنَّهُ كَانَ بَرِيئًا ؟ »

« أُنَعْتَقِدُ ذَلِكَ الْآنَ ، وَأُنَعْتَقِدُ أَنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ طُلَمًا . وَيَغِيبُ عَلَى
طَيِّئِ أَنَّهُ كَانَ يُحَاوِلُ إِخْبَارَكُمْ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ لَكُمْ اللَّيْلَةَ
الْمَاضِيَةَ يَطْلُبُ الْعَوْنَ ۝

« لِمَاذَا ظَهَرَ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ ؟ »

« كَانَ ذَلِكَ فِي الثَّلَاثِينَ مِنْ شَهْرِ نَوْفَمْبِرٍ ، يَوْمَ شَنِقَ رُوبِرْتُ
فُورِسْتِرُ مِنْذُ ثَلَاثِينَ عَامًا ۝

سَأَلَتْهُ حُوانُ : « كَيْفَ يُعَمِّكُنَا مُسَاعِدَتُهُ ؟ »

« بِأَنَّ نَبِيَّيْنِ لَهُ أَنَا نُصَدِّقُهُ عَلَيَّيَا أَنْ نَعْلِمَهُ بَأَنَّا نَعْرِفُ أَنَّهُ بَرِيءٌ ۝

« وَلَكِنْ كَيْفَ ؟ »

« اتَّعَانِي ۝

وَصَطَّحْنَا السَّيِّدَ بَارْنِرَ إِلَى الْحَدِيقَةِ حَتَّى شَجَرَةِ الدَّرْدَارِ ، وَقَالَ :
« لَقَدْ دُفِنَ رُوبِرْتُ فُورِسْتِرُ هُنَا ، وَهَذَا قَبْرُهُ ۝

« هُنَا ؟ وَلَكِنْ هَذِهِ لَيْسَتْ مِثْلُهَا ۝

« نَعَمْ ، إِنَّهَا لَيْسَتْ مِثْلُهَا مَقَابِرُ . إِنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُ بَرِيءٌ ،
وَالَمْ يَسْمَحُوا بِدَفْنِهِ فِي مَقْبَرَةٍ ، بَلْ دَفَنُوهُ قَرِيبًا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ .
لَقَدْ دَفَنُوهُ حَيْثُ شَقَوُهُ . وَلَكِنَّا سَجَعَلُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ مَقْبَرَةً
هَادِيَّةً ، وَسَوْفَ نُصَلِّي مِنْ أَجْلِ رُوبِرْتِ فُورِسْتِرِ ۝

وَرَكِعَ بَارْنِرُ عَلَى الْأَرْضِ السَّارِدَةِ الْمُبْتَلَةِ ، وَرَكَعْتُ أَنَا وَحُوانُ مِثْلَهُ
، نَسَاءً يُصَلِّي مِنْ أَجْلِ رُوبِرْتِ فُورِسْتِرِ فَصَلَّيَا مَعَهُ . لَقَدْ صَلَّي مِنْ
أَجْلِ ذَلِكَ الرَّحُلِ الْبَرِيِّ ، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِحُصُومِهِ ، وَقَالَ بَعْدَ

دَلِكْ : « وَالْآنَ سَيَسْتَرِيحُ . ثُمَّ رَحَعْنَا إِلَى الْبَيْتِ ، الَّذِي كَانَ يَسُودُهُ
الْهُدُوءُ .

سَيَّارَةٌ

السَّيِّدِ وَنُغَيْتِ الْجَدِيدَةِ

سَأَلَ : « كَمْ ثَمَنُهَا ؟ »

وَأَذْهَشَتْهُ الْإِجَابَةُ وَتَعَثَّتِ السُّرُورُ فِي نَفْسِهِ : « فَلَمْ يَكُنِ الثَّمَنُ
حِصَصًا ، لَكِنَّهُ لَا تَتَوَقَّعُ أَنْ تَبْتَاعَ سَيَّارَةً كَثِيرَةً قُوَّةً بِثَمَنٍ بَخْسٍ .
« مَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ الثَّمَنُ أَرْخَصَ مِمَّا تَصَوَّرَ .

« أَمْ تَقُولُ إِنَّ عُمرَهَا عَامٌ وَاحِدٌ فَقَطْ ؟ »

« نَعَمْ ، إِنَّهُ عَامٌ وَاحِدٌ فَقَطْ ، وَتَعْرِفُ الرَّحْلَ الَّذِي كَانَ
مَمْتَكُهَا . لَقَدْ بَعَثَهُ بِهَا ، وَهِيَ نَحْنُ أَوْلَاءُ نَبِيعُهَا لَكَ الْآنَ نِيَابَةً
عَمَّ ، فَقَدْ قَرَّرَ أَنْ يَكْفِيَ عَنْ قِيَادَةِ السَّيَّارَاتِ . وَكُنَّا نَقُومُ بِصِيَانَتِهَا
مُنْذُ أَنْ اشْتَرَاهَا . إِنَّهَا حَقًّا سَيَّارَةٌ حَيَّةٌ بِهَذَا السَّعْرِ . »

وَفَكَرَ رُوحَرُ مَلِيًّا ، وَانْتَهَى إِلَى أَنَّ صَاحِبَ الْمُتَجَرِّ عَلَى حَقٍّ . إِنَّهَا



خمر . وأشعل سحرارة وراح يستمع في سعادة إلى الموسيقى المسعثة
من راديو السيارة .

وفجأة شعر بقلبه يثب هلعاً في صدره : فقد سمع صوتاً هادئاً ،
وكان صوت امرأة ، أو هكذا بدا له

قال الصوت : « انعطف هنا يمينا » .

طن روحه لبعض الوقت أن الصوت أتت من الراديو ، وكان
. حده في السيارة ، ولم يكرر ينبعث من الراديو سوى الموسيقى .
. مما يكرر الصوت ثانية أدرك أنه لم يصدر عن الراديو ، ولكنه كان
.. عنها إلى أذنه ، وأنه جاء من المقعد الذي يجلس عليه .

قال الصوت مرة أخرى : « انعطف هنا يمينا » .

وكان صوت امرأة شابة واصباحاً ولطيفاً . وكان من الوضوح
. حيث التفت إلى المقعد المجاور له ، ظناً منه أن شخصاً ما يجلس
.. ، ولكن المقعد كان شامراً . ولم يكن ثمة ما يضيف ، ومع
ذلك استولى الخوف على روجر ونغيت .

وافتحم صوت آخر أفكاره المضطربة ، فقد كان خلقه سيارات
. أخرى استند العصب بسائقها ، فراحوا يطبقون آلات التنبه في

سيارة جيدة وسعرها مناسب ، وفي مقدوره أن يدفعه ، فقال :
« سأشتريها ، وسأعود من أجل ذلك مساء الغد ، بعد أن أعادر
مكتبي » .

وما إن حل مساء اليوم التالي حتى كان حالها حلف عجلة
القيادة في سيارته الجديدة الكبيرة وراح يقودها بحرص في شوارع
المدينة . وسرعان ما خلف الشوارع المزدحمة وراءه ، وعندما بلغ
الطرق الهادئة راد من سرعة السيارة وقد جعل المحرك القوي من
القيادة متعة ، وعمرت المصابيح الأمامية الطريق أمامه بالصوت لمسافة
بعيدة . وكان سرور روجر ونغيت بسيارته الجديدة بالغا ، فتمتها
يقدر بأكثر مما دفعه بكثير .

وعند تقاطع الطرق كان عليه أن يتوقف ، إذ كان نور الإشارة

سياراتهم محدثين ضجيجا قظيما .

ونظر روجر إلى إشارة المرور ، فراها قد تحولت إلى اللون
الأخضر وكان واقفا بسيارته في طريق جميع السيارات من حله
فراح سائقوها يستحثونه على التحرك . وفاد سيارته ببطء ، فانطلقوا
من حايه الوحيد تلو الآخر ، وكلما مر بحايه سائق أطلق آلة التشبيه
استياء منه .

ولم يكن روجر ملتفتا للسائقين العاصيين أو آلات التشبيه العالية
في سياراتهم . ولكن سرّة ذلك الصوت الهادئ لا تزال ترد في
سمعه : « انعطف هنا يمينا . » وشرع يتساءل عن الطريق المتصرع
إلى اليمين ، وكان يبدو أنه يقضي إلى شارع هادئ ، ولكن لم
يسبق له أن سار فيه من قبل . فقد كان الطريق المؤدي إلى بيته هو
هذا الطريق الممتد أمامه ، ومن ثم فإنه لم يسبق له أن انعطف يمينا
عند تقاطع الطرق .

وكانت روجته جد مسرورة بالسيارة الجديدة . إذ كانت ترى
أنها أكثر راحة من سياراتهما السابقة وتطلعت إلى أن يقوموا برحلة
بها في عطلة نهاية الأسبوع .

قالت . « متصححا أمي حيث نمضي إلى شاطئ البحر وتناول

طعاما هاك في الهواء الطلق . إنها ستكون رحلة ممتعة ، أليس
كذلك يا روجر ؟

ولم يجبها ، فقد كان يحميق إلى السيارة الحديدية من خلال
نافذة غرفة الجدوس

وسأله مرة أخرى . « ألن تكون رحلة ممتعة ؟ »

« ماذا ؟ آه .. بلى بلا شك .. ستمتع بها »

« أنا لا أفهمك يا روجر ، ماذا بك ؟ لقد اشتريت لتوك هذه
السيارة البديعة ، ولكيك لا تندو مسرورا على الإطلاق ، وتكاد لا
سمع كلمة واحدة مما أقوله لك . »

قال . « إني آسف يا عزيزي ، فالحقيقة أن لذي مهمة صعبة
في المكتب ، وكنت أفكر فيها ، ولا بد أن أذهب إلى عمي مسكرا
في صبيحة العدي : لذا يجب أن أنام الليلة مبكرا ، فأنا في حاجة إلى
نوم عميق . »

ولم يذكر لها شيئا عن الصوت الذي سمعه وهو في السيارة
الجديدة .

وَمَصَى ، وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَقَرِّ عَمَلِهِ ، لِيُزِيرَ صَدِيقَهُ بِلَ هَارَبَر ،
الَّذِي كَانَ يَشْتَعِلُ مُحَرَّرًا فِي إِحْدَى الصُّحُفِ ، وَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ
النَّاسِ الَّذِينَ يَدْهَشُونَ بِسُرْعَةِ لِأَيِّ شَيْءٍ غَرِيبٍ يَحْدُثُ ، فَأَصَتْ
بِهَدْوٍ لِقِصَّةِ رُوحِ ثُمَّ سَأَلَهُ . « هَلْ تَعْرِفُ ذَلِكَ الشَّارِعَ الْمُنْعَرَّعَ
يَمِينًا عِنْدَ تَقَاطُعِ الطَّرِيقِ ؟ »

« لَا أَعْرِفُهُ . »

« إِنَّهُ شَارِعٌ ضَيِّقٌ هَادِيٌّ ، عَلَى حَابِيَّتِهِ بَصْنَعُ أَشْجَارٍ وَتَعْصُرُ الْمَازِلِ
اللطيفة ، وَأَسْمُهُ طَرِيقُ مُونَماوث . »

« أَذْهَبْتَ إِلَيْهِ يَا بِلَ ؟ »

أَجَابَ بِلَ . « مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَكَانَ ذَلِكَ مُنْذُ عَامٍ تَقْرِيبًا . »

« بِكَ تُصَدِّقُنِي ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ تُصَدِّقُنِي أَنِّي سَمِعْتُ ذَلِكَ

الصَّوْتَ ؟ »

« إِنِّي مُوقِنٌ مِنْ اعْتِقَادِكَ فِي أَنِّي سَمِعْتُهُ ، وَهَذَا هُوَ الْمَهْمُ . »

وَنَهَضَ بِلَ وَاتَّجَهَ إِلَى جِرَانَةٍ وَأَخْرَجَ مِنْهَا جِهَارَ تَسْحِيلٍ صَغِيرًا
وَسَلَّمَهُ بِرُوحٍ قَائِلًا : « إِحْمِلْ هَذَا الْجِهَارَ مَعَكَ فِي السَّيَّارَةِ ، وَأَنْتَ

في طريق عودتك إلى منزلك الليلة ، وأدره قبل وصولك إلى تقاطع
الطرق ، ثم أعيقه بعد أن تتجاوز إشارة المرور ، وأعدّه إليّ في صبيحة
الغد ، وستسمع معاً إلى الشرطي ، ولكن عذري بالأنا تسمعه قل أن
تعيده إليّ .

وأوماً روجر موافقاً وقال : « سأفعل ما قلت ، فإني محتاج إلى
العون يا بل . فإن هذا الصوت كان حقيقياً ؛ فقد سمعته وبدأ كما
لو كان يريد إبلاعي رسالة . إنني لا أعرف مضمون تلك الرسالة ،
لكن ... »

وابتسم بل قائلاً : « وهو كذلك يا روجر . إنني أعرف أن هذا
الأمر قد أزعج أعصابك ، وأنا أصدق قصتك هذه ، وسوف أساعدك
قدر استطاعتي ، فتحن صديقان منذ زمن طويل . ولاتنس أن
تستعمل جهاز التسجيل هذا في طريقك إلى دارك ، ثم أعدّه إليّ
غداً . »

وفي صباح اليوم التالي وضع روجر ، وهو صاحب الوحه ، جهاز
التسجيل على مكتب بل ، وقال : « أحل .. لست بحاجة إليّ أن
تسألني . لقد سمعت الصوت بأذني تماماً كما سمعته الليلة
الماضية ، ولكن هل سمعته هذا الشيء ؟ » وأشار إلى جهاز التسجيل .

« إن لم يكن قد سمعته قلن تصدقني ، بل وستظن أنني اخترعت
هذه القصة . »

وأجلس بل وهو يقول له . « على رسلك يا روجر ، على رسلك !
أنت في عجلة شديدة من أمرك . لنستمع للشرطي ، فحن لا نعرف
ماذا فيه . وبعد أن نسمعه سيكون في مقدورنا كشف السر . »

وقفع جهاز التسجيل وأرجع الشرطي إلى بدايته ، على حين
جلس روجر على حافة مقعده قلقاً ، وأشعل سيجارة بعصبية قائلاً .
« إنني لم أستعمل راديو السيارة الليلة الماضية ، لأنني أردت أن
يكون التسجيل صافياً . »

« أحسنت ، فقد نسيت أن أقول لك ذلك ، ويسري أنك قطبت
إلى هذا . ثم أدار جهاز التسجيل فبدأ الشرطي يدور . ولم يسمع
في البداية إلا صوت المحرك ، ثم صوت الإطارات على الطريق . »

قال روجر مفسراً : « اضطرت لفتح نافذة السيارة ، فقد كنت
في حاجة إلى هواء منعش . »

« صه ! لقد علمت ما فعلته . »

ثم حفت صوت المحرك ؛ إذ كانت السيارة ساعتي تسير

« لَقَدْ أَطْطَأْتُ ، إِذْ كَانَتْ الْإِشَارَةُ حَمْرَاءَ ، فَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَتَوَقَّفَ . »

« أَسْكُتْ يَا رُوْحَر ! فَلَسْتُ أَبْلَهُ كَمَا نَعْلَمُ ، وَأَنَا أَذْرِكُ مَا كَانَ يَحْدُثُ . »

أَعْمَصُ عَيْنِي ، وَأَسْدُ طَهْرَةً إِلَى مَقْعَدِهِ وَقَلْبُهُ يَدُقُّ بِسُرْعَةٍ .
وَكَانَ مُتَوَتِّرَ الْأَعْصَابِ ، بَلْ كَانَ مُرْتَعِبًا . لَقَدْ حَشَى أَلَا يُنْطَبِقُ
الصَّوْتُ ، أَوْ يَكُونُ جِهَارُ التَّسْحِيلِ قَدْ تَعَطَّلَ حَيْثُ أَدَارَةُ فِي السَّيَّارَةِ ،
أَوْ يَكُونُ ثَمَّةَ حِطًّا قَدْ وَقَعَ وَعَدْدِيدٌ لَنْ يُصَدِّقَهُ بَلْ ، وَلَنْ يُصَدِّقَ أَنَّهُ
سَمِعَ ذَلِكَ الصَّوْتَ ، وَمِنْ ثَمَّ قَلَنْ يَسْتَطِيعُ تَقْدِيمَ الْعَوْدِ لَهُ .
وَسَيَكُونُ لَزَامًا عَلَى رُوْحَرٍ أَنْ يَبْدَأَ رَحِلَتَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ ، وَهُوَ
خَائِفٌ مِنَ اللَّحْطَةِ الَّتِي يَتَكَلَّمُ فِيهَا الصَّوْتُ .

وَلَعَلَّهُ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي ، عِنْدَمَا يَسْمَعُ الصَّوْتَ يَتَكَلَّمُ ، قَدْ
يُطِيعُ نَمْرَةً ، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يُوَاصِلَ سِيرَهُ يَنْعَطِفُ يَمِيًا وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ
مُحَالَفَتَهُ ، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى دَارِهِ سَوْفَ يُطِيعُ الصَّوْتَ وَيَقْوُدُ
سَيَّارَتَهُ إِلَى الْعَمُوصِ وَالْحَطَرِ الْكَامِسِينَ لَهُ فِي طَرِيقِ مُوْتَمَاوَتِ

وَقَالَ لِنَفْسِهِ : « آه يَا إِلَهِي ! كُنْ فِي عَوْنِي وَأَصِقِ الشَّرِيْطَ الْآنَ ،
حَتَّى يُصَدِّقَنِي بَلْ ، وَيُسَاعِدَنِي . أَرْجُوكَ يَا إِلَهِي ! إِنِّي خَائِفٌ ... »
وَسَكَتَ صَوْتُ الْمَحْرَكِ عَلَى الشَّرِيْطِ : إِذْ كَانَتْ السَّيَّارَةُ قَدْ
تَوَقَّفَتْ عِنْدَ الْإِشَارَةِ . وَلِلْحَظَةِ اتَّبَعَتْ عَلَى الشَّرِيْطِ صَوْتُ سَمِعَاهُ
بِصُعُوبَةٍ . وَعِنْدَئِذٍ اتَّبَعَتْ الصَّوْتُ وَاضِحًا رَقِيقًا وَهُوَ يُصْدِرُ ذَلِكَ الْأَمْرَ
الْمُرْعَبَ الْمَأْلُوفَ : « انْعَطِفْ هُنَا يَمِينًا ... »

وَصَرَحَ رُوْحَرُ قَائِلًا : « أَسَمِعْتَ يَا بَلْ ؟ هَلْ تُصَدِّقُنِي ؟ يَجِبُ
أَنْ تُصَدِّقَنِي الْآنَ ! »

أَمَّا بَلْ فَقَدْ أَوْقَفَ جِهَازَ التَّسْحِيلِ ، وَالتَّتَفَتْ إِلَى رُوْحَرٍ قَائِلًا
بِهْدُوءٍ شَدِيدٍ : « لَقَدْ سَمِعْتُهُ ، وَأَنَا أَصَدِّقُكَ يَا رُوْحَرُ . إِنَّهُ صَوْتُ
فَتَاةٍ ، وَقَدْ تَوَقَّعْتُ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ . »
« مَاذَا تَعْنِي ؟ »

« لَيْسَ الْآنَ يَا رُوْحَرُ ، وَسَأَوْضَحُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ فِيمَا بَعْدُ . عِنْدَمَا
تَنْتَهِي مِنْ عَمَلِكَ تَعَالَ هُنَا وَخُذْنِي مَعَكَ ، فَإِنِّي سَأُصْحَبُكَ فِي
طَرِيقِ عَوْدَتِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ . »

وَاحْتَارَتِ السَّيَّارَةُ الطَّرِيقَ الْمُرْدَحِمَةَ ، حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ رُوجَرُ الطَّرِيقَ
الْهَادِئَةَ رَادَّ مِنْ سُرْعَةِ سَيَّارَتِهِ . وَكَانَ بِلْ جَالِسًا بِجَوَارِهِ ، وَلَمْ يَنْطِقْ
أَيُّ مِنْهُمَا بِكَيْمَةٍ ؛ فَقَدْ كَانَا مُشْدُودِي الْأَعْصَابِ .. يَتَرَقَّبَانِ .

وَلَمَّا إِشَارَةُ الْمُرُورِ ، وَقَدْ أَضَاءَ بِهَا النُّورُ الْأَخْضَرُ .

سَأَلَ رُوجَرُ : « مَاذَا أَفْعَلُ إِذَا بَقِيَ الصَّوُّ أَحْضَرُ ؟ لَقَدْ نَحُولُ إِلَى
الْأَحْمَرِ فِي اللَّيْلَتَيْنِ الْمَاضِيَتَيْنِ ، وَبِذَلِكَ اضْطُرَرْتُ إِلَى التَّوَقُّفِ عِنْدَ
مُفْتَرَقِ الطَّرِيقِ . »

« هَذَا لَنْ يُشْكَلَ أَيُّ فَرْقٍ ، فَسَرَّعَانِ مَا سَتُكَلِّمُكَ حَتَّى إِنَّ طَلَّ
الصَّوُّ أَحْضَرَ . »

« كَيْفَ عَرَفْتَ ذَلِكَ ؟ »

« أَسْكُتْ ! عَلَيَّ فَقَطُّ أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ . »

وَأَوْشَكَا عَلَى الْاقْتِرَابِ مِنْ تَقَاطُعِ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ الصَّوُّ لَا يَزَالُ
أَحْضَرَ . وَحَفَّ لَعَابُ رُوجَرِ وَرَاحَ قَلْبُهُ يَدُقُّ بِعُنْفٍ ، فَطَرَ إِلَى صَاحِبِهِ
الَّذِي كَانَ يُحْمِقُ أَمَامَهُ لِيَرْقُبَ الصَّوُّ الْأَخْضَرَ .

« انْعَظْ هَا يَمِينًا . » وَكَانَ الصَّوْتُ نَفْسَهُ وَلَكِنْ أَوْصَحَ وَأَقْوَى .

وَكَانَتْ صَاحِبَتُهُ تَعْرِفُ أَنَّ أَمْرَهَا سَيَطَاعُ .

قَالَ بِلْ : « وَالْآنَ هَيَّا إِلَى طَرِيقِ مُونَمَاوِثِ ، وَكُنْ حَذِرًا وَتَوَقَّعْ
أَنْ تَحْدُثَ مُشْكَلَةٌ . »

وَلَفَّ رُوجَرُ عَجَلَةَ الْقِيَادَةِ ، وَأَسَابَتِ السَّيَّارَةُ الْمَارَهُةُ فِي الطَّرِيقِ
الصَّغِيرِ الْهَادِي ، وَقَدْ شَكَّلَتْ مَصَابِيحُ الشَّارِعِ بُخَيْرَاتٍ صَغِيرَةً مِنْ
الصَّوِّ فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ ؛ أَمَّا الْأَشْجَارُ فَقَدْ أَلْقَتْ بِظِلَالِهَا الْكَثِيفَةِ
عَلَى وَاجِهَاتِ الْمَنَازِلِ وَفَوْقَ الطَّرِيقِ .

وَفِي الظُّلَامِ وَتَحْتَ إِحْدَى الْأَشْجَارِ كَانَتْ ثَمَّةٌ فَتَاةٌ وَاقِفَةٌ ،
وَمَا لَبِثَتْ أَنْ تَحَرَّكَتْ إِلَى الْأَمَامِ ، وَقَدْ بَدَتْ فِي نَوْرِ الْمَصَابِيحِ
الْأَمَامِيَّةِ لِلْسَّيَّارَةِ ، فَأَمَكَّتَهُمَا أَنْ يَتَّبِعَا بِوُضُوحٍ وَهِيَ تَتَلَا فِي
ظُلْمَةِ اللَّيْلِ . وَكَانَتْ شَابَةً صَغِيرَةً جَمِيلَةً فِي نَحْوِ الْعِشْرِينَ أَوْ
الْحَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَتَرْتَدِي مَلَابِسَ الْحَفَلَاتِ

وَأَخَذَ بِلْ نَفْسًا عَمِيقًا وَهُوَ يَقُولُ : « هَا هِيَ دِي ! احْدُ حَذَرَكَ
يَا رُوجَرُ ! انْتَبِهْ ! »

وَأَلْقَتْ الْفَتَاةُ بِنَفْسِهَا عَلَى الطَّرِيقِ أَمَامَ السَّيَّارَةِ ، وَحَطَّتْ عَجَلَةُ
الْقِيَادَةِ رُوجَرِ فِي يَدَيْهِ وَهُوَ يَلْفُهَا بِقُوَّةٍ ، وَزَعَقَتْ الْعَجَلَاتُ ،

وَارْتَطَمَتِ السَّيَّارَةُ يَعْصِفُ بِشَجَرَةٍ ، ثُمَّ تَوَقَّفَتْ بِلا حراكٍ .

وَقَفَرَ رُوحَرٌ مِنَ السَّيَّارَةِ وَرَاحَ يَصْرُخُ بِصَوْتٍ يَشُوهُ الْجُنُونُ .
« يَا إِلَهِي ! لَقَدْ دُسَّتْهَا ! قَتَلْتَهَا يَا بِل ! بِل ! آيْنِ أَنْتَ ؟ أَعِشِي ! »

وَكَانَ بِل بِحَاسِهِ ، وَقَالَ لَهُ بِنبراتٍ هَادئةٍ : « لَا عَلَيْكَ يَا رُوحَرُ
وَلَا تَحَفْ ، فَأَنْتَ لَمْ تُسَبِّ لَهَا أَيُّ أَدَى . انْظُرْ ! إِنَّ الطَّرِيقَ خَالٍ .
اهْدِ الْآنَ وَلَا تَزْعَجْ ، فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَسَى مَا يُرَامُ . صَدَّقِي ! »

« وَلَكِنْ .. آيْنِ .. آيْنِ دَهَبَتْ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ هَاتَيْنِ ،
وَكَانَتْ واقِفَةً هُناكَ ، وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ أَنْتَ أَيْضًا قَدْ رَأَيْتَهَا ! وَبَعْدَ
ذَلِكَ ... »

« نَعَمْ رَأَيْتُهَا ، وَشَهِدْتُ مَا فَعَلْتُ . لَكِنِّي لَيْسْتُ هُنَا الْآنَ ، إِنَّهَا
فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ يَا رُوحَرُ . اهْدِ ! سَاجِيءُ سَيَّارَةِ أَجْرَةٍ وَأَحْمِلْكِ إِلَى
دَرَكٍ . أَمَّا سَيَّارَتُكَ فَسَتَتَوَلَّى إِحْدَى وَرَشَ إِصْلَاحَ السَّيَّارَاتِ نَقْلَهَا ،
لَأَنْتَ لَنْ تَسْتَطِيعَ قِيَادَتَهَا »

قَالَ رُوحَرٌ وَهُوَ يَصْعُقُ فِجَاجَ قَهْوَتِهِ الْفَارِغِ عَلَى الْمَائِدَةِ : « إِنِّي
أَشْعُرُ بِتَخَسُّنٍ الْآنَ . مِنْ فَضْلِكَ أَحْبِرْنَا بِمَا نَعْرِفُهُ يَا بِل . »

وَقَالَتْ زَوْجَتُهُ رُوحَرُ مُحَاطِيَةً بِل : « نَعَمْ يَا بِل ، أَوْضَحْ لَنَا الْأَمْرَ
مِنْ فَضْلِكَ . لَقَدْ كَانَتْ لَيْلَةٌ لَيْلَاءَ ، وَقَدْ نَحَوْتَ أَنْتَ وَرُوحَرُ
بِأَعْجُوبَةٍ . »

قَالَ بِل بِهَدوءٍ شَدِيدٍ : « هَذَا صَحِيحٌ ، فَقَدْ كَانَ مِنَ الْمُمَكِنِ أَنْ
يَكُونَ فِي عِدَادِ الْأَمْوَاتِ الْآنَ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّهَا كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تُقْتَلَ
شَخْصًا مَا ، وَلَكِنِّي لَسْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْ مَعْرِفَةِ مَنْ تُرِيدُ قَتْلَهُ ، فَرُبَّمَا
تُرِيدُ قَتْلَ شَخْصٍ آخَرَ غَيْرِنَا . »

« اسْتَمِرِّ مِنْ فَضْلِكَ . اسْتَمِرِّ . »

« سَأَحَاوِلُ ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ شاقٌّ . إِنَّهَا قِصَّةٌ لَنْ أَفَكَّرَ بِطُلَاقًا فِي
كِتَابِهَا ، فَلَنْ يُصَدِّقَهَا أَحَدٌ ! وَقَدْ أَخْبَرْتُكَ يَا رُوحَرُ أَنِّي دَهَبْتُ إِلَى
مُونِماوْتِ مَرَّةً وَاحِدَةً ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

« بَنِي ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تُخْبِرْنِي بِسَبَبِ ذَهَابِكَ إِلَى هُنَاكَ . »

« لَمْ أَرِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ أُخْبِرَكَ أَسَاكَ ، أَمَّا الْآنَ فَلَا بُدَّ أَنْ
أُخْبِرَكَ . »

وَأَمْسَكَ عَنْ الْكَلَامِ دَقِيقَةً لِيَسْتَعْرِقَ فِي تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ ، ثُمَّ قَالَ
أَخِيرًا : « لَقَدْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَعْرِفَ عَلَى هَذِهِ الْفَتَاةِ . »

« تَعَرَّفْتُ عَلَيْهَا ؟ كَيْفَ ؟ وَمَنْ هِيَ ؟ »

« انتظر من فضلك ، وأصغ إلي . إن اسمها ... » وأمسك بل
عن الكلام ، ثم عاد يقول . « أحل يسغي أن أقول ، لقد كان
اسمها كاثلين هنسون ، وقد قتلت في طريق مونماوث ، ولم تقتلها
أنت يا روبر ، بل قتلت منذ حوالي عام ، ونشرت الصحف
صورتها ولدى الصحيفة التي أعمل فيها صورة كبيرة لها ؛ لذا
فقد تعرفت عليها الليلة . »

« إنني لا أذكر أي شيء عنها . »

« ولم تذكر ؟ إني صحفي ، والصحفيون هم الذين يتذكرون
أمثال هذه الأمور . وكانت كاثلين هنسون تعيش مع أبيها وأمها في
بيت يقع على طريق مونماوث . وفي إحدى الليالي كانت داهية
إلى حفل مع خطيبها ، الذي لم يصل حسب الموعد المصروب ؛
لذا خرجت من بيتها لتنتظره في الشارع . »

وتوقف بل عن الكلام ثانية ، فقال روبر : « ما الذي حدث
بعد ذلك ؟ أكمل يا بل من فضلك . »

قال بل : « لم يستطع أحد التأكد تمامًا مما حدث . لقد

وقفت هناك تنتظر ، وحاءت سيارة في طريق مونماوث ، الذي
كانت تقف فيه ، فطمتها سيارة خطيبها ، وهرعت إلى الطريق
معتقدة أن السيارة ستوقف ، ولكنها لم تتوقف ؛ إذ لم يحضر بال
السائق العريب عن المنطقة أنها كانت تنتظر شخصاً ما ، ولم يقص
إلى اعتقادها بأن سيارته ستوقف ، ولم يبطئ من سرعته ولم
يستطع ذلك ، فقد كان الوقت قد فات ، فصدمها صدمة أودت
 بحياتها . »

وصرخت روعة روبر : « يا له من حادث مروع ! »

قال بل : « أحل ، كان حادثاً مروعاً وقد قررت الشرطة أن
الحادثة قصاء وقدر ، فلم يوجهوا أي اتهام للسائق . وقد أوفدني
صحفتي إلى مكان الحادث ، وهو طريق مونماوث ، فوجهت
للناس أسئلة كثيرة ، ولكنني لم أكتشف أية حقائق جديدة . ها
أنت ذا الآن قد عرفت لم استطعت أن أعرف على الفتاة ؛ إني لم
أنسها قط ! »

« ولكن ، يا بل ، لماذا حاطتني كاثلين هنسون دون سائر
الناس جميعاً ؟ ولماذا أمرتني أن أتصرف يميناً في طريق
مونماوث ؟ »

« لِأَنَّ سَيَّارَتَكَ هِيَ الَّتِي قَتَلْتُهَا ! اقْبَلْ نَصِيحَتِي ، يَا رُوحَر ، وَلَا
تَسْتَعْمِلْ هَذِهِ السَّيَّارَةَ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ الْيَوْمِ . »

صَدِيقُ الْعَائِلَةِ

ناولتُ سيسيلي فريشر حطائاً لِزَوْجِهَا قَائِلَةً : « إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّ
دَلَّتْ لَا يَرُوقُكَ ، بَيِّدَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُا الرُّفْصُ . » وَكَانَا حَالِسِينَ إِلَى
مَائِدَةِ الْإِفْطَارِ فِي مَطْبَخِهِمَا الْكَبِيرِ الْمُرِيحِ ، وَكَانَ مُوزَّعُ الْبَرِيدِ قَدْ
سَلَّمَهَا مَحْمُوعَةً خُطَابَاتٍ .

قَالَتْ : « اقْرَأْهُ بِنَفْسِكَ يَا فَرِيدْرِيك ، وَسَوْفَ تَرَى كَمْ هِيَ مَسْأَلَةٌ
صَعْبَةٌ . فَأَنَا صَدِيقَةُ سُورَانَ بَلِيكٍ مُنْذُ مَا يَرَبُو عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً ،
وَكُنَّا رَفِيقَتَيْنِي دِرَاسَةٍ ، فَكَيْفَ أَرْفُصُ أَنَّ نَأْتِيَا ابْنَتَهَا لِلْعَيْشِ مَعَنَا ؟ »

« إِنِّي أَعْلَمُ كَمْ تُحِبُّ سُورَانَ ، وَأَنَا أَيْضًا أُحِبُّهَا ، بَيِّدَ أَنِّي لَا
أُحِبُّ زَوْجَهَا ، ذَلِكَ الرَّحْلُ الْمَزْعُجُ ، وَلَا أَتَقَرَّبُ بِهِ ، فَهُوَ كَذَّابٌ . »

« وَأَنَا كَذَلِكُ لَا أُحِبُّ تِيرَنسَ بَلِيكَ وَلَا أَتَقَرَّبُ بِهِ وَهُوَ لَنْ يَأْتِيَا
لِلْإِقَامَةِ مَعَنَا هُوَ وَزَوْجَتُهُ ، نَلْ ابْنَتُهُمَا إِيْزَابِيلُ هِيَ الَّتِي سَتَأْتِي . »

أَرْحُوكَ أَنْ تَقْرَأَ الْخِطَابَ يَا فَرِيدْرِيكَ ، وَعِدِّدْ سَتَقَهُمْ . وَآمَلُ أَنْ
تُوافِقَنِي عَلَى مَحِيطِهَا .

وَبَدَأَ فَرِيدْرِيكُ فَرُوبِشِرَ يَقْرَأُ خِطَابَ سُورَانَ بَلِيكَ . وَكَانَ حِطَابًا
مُسَهَّبًا ، وَمَعَ ذَلِكَ قَرَأَهُ كُلُّهُ بِإِمْعَانٍ ، فَقَدْ كَانَ يُرِيدُ مُسَاعَدَةَ زَوْجَتِهِ
قَدْرَ اسْتَطَاعَتِهِ .

شَرَحَتْ سُورَانُ مُشْكِلَتَهَا بِوُضُوحٍ ؛ فَقَدْ حَصَلَ رَوْحُهَا عَلَى
وَصِيفَةٍ فِي كَنْدَا لِقَاءَ أُخْرٍ مَرْتَفِعٍ فِي وَقْتٍ هُمَا فِي مَسِيرِ الْحَاحَةِ
إِلَيْهِ . وَكَانَ قَدْ سَافَرَ فِعْلًا إِلَى كَنْدَا ، وَكَانَتْ هِيَ تَرْغَبُ فِي



الْحَاقِ بِهِ هُنَاكَ بِأَسْرَعٍ مَا يُمَكِّنُهَا . وَلَكِنْ ابْتَهَمَا إِيزَابِيلُ لَمْ تَتَجَاوَزْ
السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَلَا تَرَالُ طَالِبَةً بِالمَدْرَسَةِ . وَكَانَتْ رَغْبَةُ
أُمِّهَا أَنْ تَظُلَّ فِي المَدْرَسَةِ فِي إِنْجِلْتِرَا حَتَّى الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ
تَلْحَقُ بِأَبَوَيْهَا فِي كَنْدَا . وَأَرَادَتْ سُورَانُ أَنْ تَعِيشَ إِيزَابِيلَ مَعَ آلِ
فَرُوبِشِرَ حَتَّى تَقْرَعَ مِنْ مَرَحَلَةِ دِرَاسَتِهَا . وَكَانَتْ سُورَانُ وَسِيسِيلِي
صَدِيقَتَيْنِ مِنْذُ أَمَدٍ طَوِيلٍ ، وَكَانَ يُسَعِدُ سُورَانُ أَنْ تَقُومَ سِيسِيلِي
بِرِعَايَةِ إِيزَابِيلَ ، فَإِذَا لَمْ تُوافِقْ سِيسِيلِي عَلَى ذَلِكَ عَدَلَتْ سُورَانُ عَنْ
السَّفَرِ إِلَى كَنْدَا . وَكَانَ آلُ فَرُوبِشِرَ هُمْ أَصْدِقَاءُهَا الْحَقِيقِيِّينَ
الْوَحِيدِينَ . وَلَمْ يَكُنْ لِإِيزَابِيلَ جَدَّةٌ أَوْ جَدٌّ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ، فَأَيَّنَ
تَذْهَبُ ؟

أَعَادَ فَرِيدْرِيكُ فَرُوبِشِرَ الْخِطَابَ إِلَى زَوْجَتِهِ قَائِلًا : « كَمْ يُؤْلَمُنِي
أَمْرُهَا ! »

« وَأَنَا أَيْضًا يَا فَرِيدْرِيكَ ؛ إِذْ يَجِبُ أَنْ تَلْحَقَ سُورَانُ بِتِيرَنْسٍ بِأَسْرَعٍ
مَا تَسْتَطِيعُ ، فَهَذِهِ أَوَّلُ وَظِيفَةٍ مَرْمُوقَةٍ يَحْصُلُ عَلَيْهَا مِنْذُ سَنَوَاتٍ . »

« وَطَلْعًا إِذَا لَمْ تَلْحَقْ بِهِ فَسَوْفَ يُسِيءُ التَّصَرُّفُ ، وَقَدْ يَحْسُرُ
الْوِظِيفَةُ . صَدَّقْنِي إِنَّهُ غَيْرُ أَهْلِ لِثَقَّةٍ ، حَتَّى إِنْ رَوَّحَتْهُ أَيْضًا لَا تَثِيقُ
هُ . »

قَالَتْ زَوْجَتُهُ : « لَيْسَتْ هَذِهِ غُلْطَةٌ سُورَان . »

قَالَ فَرِيدْرِيكُ عَاضِيًا : « سَتَكُونُ حَمَقَاءَ إِنْ هِيَ وَثَقَتْ بِهِ . إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَمِينًا عِنْدَمَا بَاعَنَا هَذَا الْبَيْتَ . »

قَالَتْ زَوْجَتُهُ تَذَكُّرُهُ بِرَفْقٍ : « كَانَ ذَلِكَ مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ ، وَقَدْ عِشْنَا هُنَا سَعِيدَيْنِ لِلْغَايَةِ . »

اِتَّسَمَ لَهَا قَائِلًا : « لَقَدْ كُنَّا دَائِمًا سَعِيدَيْنِ يَا عَزِيزَتِي . كُنَّا سَعِيدَيْنِ فِي كُلِّ بَيْتٍ أَقَمْنَا فِيهِ . وَنَبْتَا هَذَا حَمِيلًا ، وَلَكِنْ تَبَرَّسَ بِلِيكَ حَدَعَا وَتَقَاضَى مِنَّا ثَمَنًا أَعْلَى بِكَثِيرٍ مِمَّا يَسْتَحِقُّ . »

« لَعَلَّهُ كَانَ حَزِينًا ، وَلَمْ يَكُنْ يُرِيدُ أَنْ يَبِيعَهُ ، فَقَدْ عَاشَتْ فِيهِ أُمُرَّتُهُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً . لَقَدْ عَاشَ هُنَا أَبُوهُ وَأُمُّهُ (جَدُّ إِبْرَاهِيلَ وَحَدَّثَهَا) . لَقَدْ عَاشَ هُنَا آلُ بَيْتِكَ مِثْلَ السَّيْنِ . فَلَا بُدَّ إِذَا أَنْ يَشُقَّ عَلَيْهِ بَيْعُهُ . »

« كَانَتْ هَذِهِ غُلْطَتُهُ ، فَقَدْ كَانَ مُسْتَهْتَرًا أَحْمَقَ ، اتَّفَقَ كُلُّ مَالِهِ وَاصْطَرَّ إِلَى بَيْعِ الْبَيْتِ ، وَلَمْ يَعُدَّ يُطِيقُ الْحَيَاةَ هُنَا . »

نَهَضَتْ سِيسِيلِي مِنْ مَقْعَدِهَا وَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى ذِرَاعِ زَوْجِهَا قَائِلَةً : « كُفْ يَا عَزِيزِي عَنِ الْحَدِيثِ عَنْ تَبَرُّسِ ، فَأَنَا مُتَّفِقَةٌ مَعَكَ

عَلَى رَأْيِكَ فِيهِ ، وَلَكِنْ مَاذَا أَنَا قَائِلَةٌ لِسُورَان ؟ »

طَلَّ فَرِيدْرِيكُ صَامِتًا لِحُطَّةٍ ، ثُمَّ قَالَ بِطُءٍ : « لَقَدْ أَحْرَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ يَا سِيسِيلِي بِأَنِّي مُتَّالِمٌ ، وَأَحِبُّ أَنْ أَسَاعِدَهَا . »

« أَأَكْتُبُ إِلَيْهَا إِذَا وَآخِرُهَا بِمُوَافَقَتِنَا عَلَى اسْتِصَاةِ إِبْرَاهِيلَ ؟ »

وَبَطَرَ زَوْجُهَا إِلَى سَاعَتِهِ قَائِلًا : « لَقَدْ تَأَحَّرْتُ ، وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أُنْذِرَ الْعَمَلَ مُنْذُ نِصْفِ السَّاعَةِ . » ثُمَّ التَفَتَ إِلَى زَوْجَتِهِ قَائِلًا : « تَرَعَيْنِ فِي مَجِيءِ الْفَتَاةِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

أَوَمَاتُ بِرَأْسِهَا قَائِلَةً : « بَلَى يَا فَرِيدْرِيكُ . إِنِّي لَمْ أَرِ إِبْرَاهِيلَ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ ، فَقَدْ كَانَتْ صَبِيَّةً صَغِيرَةً لَطِيفَةً ، وَلَسَوْفَ تُدْخِلُ إِقَامَتَهَا مَعَ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِنَا ، فَصَلَا عَنْ كَرِّهَا صَدِيقَةً لِلْعَائِلَةِ . »

اِتَّسَمَ فَرِيدْرِيكُ قَائِلًا : « أَكْتُبِي إِلَيْهَا الْيَوْمَ ، يَا سِيسِيلِي ، وَادْعِيهَا لِلْحُضُورِ ، وَسَنُحَاوِلُ أَنْ نُسْعِدَهَا . »

وَعَادَرَ الْمَطْبَخَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ ، وَسَمِعَتْ وَقَعَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ يَعْبُرُ الرَّدْهَةَ ، ثُمَّ سَمِعَتْ بَابَ مَكْتَبَتِهِ يُفْتَحُ ثُمَّ يُغْلَقُ . لَقَدْ كَانَ يُؤَلَّفُ كِتَابًا حَدِيدًا وَلَوْ يَبْرَحُ مَكْتَبُهُ حَتَّى يَحِينَ مَوْعِدُ الْغَدَاءِ .

قَالَتْ لِنَفْسِهَا : « حَسَنٌ ، إِبْرَاهِيلَ لَنْ تَكُونَ مَصْدَرُ إِزْعَاجٍ لَهُ ،

وَلَنْ تَعْتَزَّ طَرِيقَهُ . إِنَّ الدَّارَ كَبِيرَةً فَسِيحَةً ، وَفِيهَا مُتَسَعٌ لَنَا جَمِيعًا .

بَعْدَ انْقِضَاءِ شَهْرِ ، وَذَاتِ أُمْسِيَّةٍ بَارِدَةٍ فِي شَهْرِ دَيْسَمْبِرٍ ، كَانَتْ سِيسِيلِي فَرُوبِشَرُ واقِفَةً فِي بَهْوِ الْمَنْزِلِ وَحْدَهَا . وَكَانَ زَوْجُهَا قَدْ ذَهَبَ بِسَيَّارَتِهِ إِلَى مَحْطَةِ السَّكَّةِ الْحَدِيدِيَّةِ لِاسْتِقْبَالِ إِيزَابِيلَ بَلِيك . وَدَارَتْ سِيسِيلِي بِعَيْنَيْهَا فِي أَرْجَاءِ الْبَهْوِ : كَانَتْ نَارُ الْمِدْفَأَةِ تَبْعَثُ عَلَى الْبَهْجَةِ ، وَالْمَصَابِيحُ كُلُّهَا مُضَاءَةً ، فَقَدْ أَرَادَتْ أَنْ تَطْهَرَ فِي الدَّارِ آيَاتِ التَّرْحِيبِ بِإِيزَابِيلَ . وَأَسْرَعَتْ إِلَى الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّ حُجْرَةَ نَوْمِ الْفَتَاةِ دَافئةٌ وَمُبْهَجةٌ .

وَعِنْدَمَا عَادَتْ إِلَى الطَّابَقِ السُّفْلِيِّ أَحْسَتْ فَجَاءَةً بِأَنَّهَا مَرِيضَةٌ ، وَكَانَ قَلْبُهَا يَدُقُّ بِشِدَّةٍ وَرَأْسُهَا يُؤَلِّمُهَا ، فَجَلَسَتْ فِي كُرْسِيِّ بِحِوَارِ الْمِدْفَأَةِ .

قَالَتْ لِنَفْسِهَا : « يَا لَكَ مِنْ امْرَأَةٍ حَمَقَاءَ يَا سِيسِيلِي فَرُوبِشَرُ ! إِنَّكَ مُتَوَرِّةٌ لِأَنَّ فَتَاةً فِي السَّادِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهَا آتِيَةٌ لِتَقِيمَ مَعَكَ . يَا لَكَ مِنْ امْرَأَةٍ حَمَقَاءَ ! مِمَّ تَخَافِينَ ؟ إِنَّ لَكَ زَوْجًا مُحِبًّا يَكْسِبُ كَثِيرًا مِنَ الْمَالِ . إِنَّهُ يُوَلِّفُ كُتُبًا قِيَمَةُ يَتَنَاعُهَا الْآلَافُ مِنَ النَّاسِ ، وَأَنْتِ بِخَيْرٍ وَسَعِيدَةٍ . وَالْآنَ أَعْصِي عَيْنِيكَ ، وَاسْتَرِيحِي إِلَى أَنْ

تَصِلَ إِيزَابِيلُ .

وَعَلَيْهَا النَّعَاسُ فَاسْتَرَحَتْ فِي كُرْسِيِّهَا الْمَرِيحِ بِحِوَارِ الْمِدْفَأَةِ ، وَرَاحَتْ فِي مَبَاتٍ عَمِيقٍ ، وَرَأَتْ فِي الْحُلْمِ أَنَّهَا نَائِمَةٌ فِي كُرْسِيِّهَا بِالرُّدْهَةِ ، وَرَأَتْ بَابَ الْمَكْتَبَةِ يَنْفَتَحُ ، وَتَخْرُجُ مِنْهُ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ . وَكَانَتْ تَرْتَدِي ثَوْبًا فَضْفَاصًا أَسْوَدَ اللَّوْنِ ، وَكَانَ شَعْرُهَا أَشْيَبَ . وَعَمَرَتْ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ الرُّدْهَةَ عَلَى مَهْلٍ ، ثُمَّ تَوَقَّفتْ عِنْدَ الْمِدْفَأَةِ ، وَالتَفَتَتْ إِلَى السَّيِّدَةِ النَّائِمَةِ . وَكَانَتْ سِيسِيلِي تَعْرِفُ أَنَّ الرَّائِرَةَ الْغَرِيَّةَ تَوْشِكُ أَنْ تَتَكَلَّمَ .

وَصَرَخَتْ سِيسِيلِي فِي الْمَرْأَةِ : « لَا تَتَكَلَّمِي ! لَا تَتَكَلَّمِي ، فَلَنْ أَصْغِيَ إِلَيْكَ ! »

وَأَبْقَظَتْهَا صَرَخَتُهَا فَهَتَّتْ واقِفَةً عَلَى قَدَمَيْهَا لِتَجِدَ الرُّدْهَةَ حَالِيَةً . وَعِنْدَئِذٍ انْفَتَحَ الْبَابُ الْأَمَامِيٌّ وَسَمِعَتْ صَوْتَ فَتَاةٍ تَقُولُ : « إِنِّي أَعْرِفُ الطَّرِيقَ ، فَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ هُنَا كَمَا تَعْلَمُ ، وَأَسْتَطِيعُ التَّجَوُّلَ فِي هَذِهِ الدَّارِ حَتَّى فِي الظُّلَامِ . »

وَأَقْبَلَ نَحْوَهَا فَرِيدْرِيكُ وَإِيزَابِيلُ ، وَكَانَ فَرِيدْرِيكُ يَحْمِلُ حَقِيْبَتَهَا ، وَقَالَ مُبْتَسِمًا : « هَا قَدْ وَصَلْنَا يَا سِيسِيلِي . لَقَدْ تَأَخَّرَ الْقِطَارُ ، وَالْحَوْءُ اللَّيْلَةُ بَارِدٌ مَطِيرٌ . اصْحَبِي إِيزَابِيلَ إِلَى عُرْفَتِهَا ، وَسَاحْضِرُ أَنَا

حَقِيقَتِهَا ؛ وَبَعْدَهَا تَتَأَوَّلُ عَشَاءًا ، فَإِنِّي جَائِعٌ ، وَمِنْ الْمَوْكِدِ أَنَّ
إِيزَابِيلَ جَائِعَةٌ هِيَ الْآخَرَى .»

كَانَتْ إِيزَابِيلَ طَوِيلَةَ الْقَامَةِ سَمَاءً تَمِيلُ إِلَى التُّخَافَةِ . وَكَانَتْ
عَيْنَاهَا تَرَأَّقَتِينَ ، وَكَانَتْ تَتَفَرَّسُ بِسُرْعَةٍ ، وَلَمْ تَكُنْ عَصِيْبَةُ الْمِرَاجِ .
وَكَانَتْ سِيسِيلِي مَوْقِفَةً مِنْ ذَلِكَ ، غَيْرَ أَنَّ إِيزَابِيلَ كَانَتْ مُتَفَعِّلَةً
قَلِيلًا ، وَكَانَتْ تَتَكَلَّمُ بِسُرْعَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُهَا أَيُّ حَوْفٍ .

قَالَتْ إِيزَابِيلُ : « حَمِيلَ مِنْكَ ، يَا سَيِّدَةُ فُروبيشر ، أَنْ تَسْمَحَ لِي
بِالْمَحِيءِ إِلَى هَذَا إِنَّ لَدَيَّ إِحْسَاسًا قَوِيًّا بِأَنِّي قَدْ عُدْتُ إِلَى بَيْتِي .»

وَكَانَتْ الْفَاطِمَةُ مُهَذَّةً . وَقَدْ حَارَلَتْ سِيسِيلِي أَنَّ تُحْيِيَهَا ،
وَلَكِنَّهَا شَعَرَتْ بِالصَّبْرِ ، فَقَدْ أَحْسَنَتْ بِأَنَّهَا غَرِيبَةٌ فِي دَارِهَا . تَرَى
مَنْ الزَّائِرُ الْفَتَاةَ أُمَّ سِيسِيلِي ؟ !

وَتَطَلَّعَتْ إِيزَابِيلُ حَوْلَهَا فِي الرُّدْهَةِ قَائِلَةً : « إِنِّهَا تَحْتَلِفُ عَنْ ذِي
قَبْلٍ . لَقَدْ أَدْخَلْتُمْ تَعْدِيلَاتٍ عَلَيْهَا .»

« حَسَنٌ ، لَقَدْ أَحْرَبْنَا ... » بَيَّنَّ أَنَّ سِيسِيلِي لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُكْمَلَ
حَدِيثَهَا ؛ إِذْ قَاطَعَتْهَا الْفَتَاةُ قَائِلَةً : « طَبْعًا ، فَهِيَ دَافِقَةٌ وَضَوْءُهَا
غَامِرٌ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَدْفَأَةٌ فِي الرُّدْهَةِ ؛ فَإِنْ إِمْكَانِيَّاتِنَا الْمَالِيَّةُ لَمْ
تَكُنْ تَسْمَحُ بِذَلِكَ ، لَكِنَّكُمْ أَغْنِيَاءُ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

قَالَتْ سِيسِيلِي مُحَارِلَةً أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهُدُوءٍ : « نَعَمْ ، نَعَمْ يَا إِيزَابِيلُ ،
لَسْنَا أَغْنِيَاءَ ، وَلَكِنْ لَدَيْنَا مَا يَكْفِي ... »

سَأَلَتِ الْفَتَاةُ دُونَ أَنْ تَنْتَظِرَ حَتَّى تَسْمَعَ مَا تَقُولُ سِيسِيلِي : « آيَةُ
عُرْفَةٍ خَصَّصْتِهَا لِي ؟ »

« سَتَنَامِينَ فِي عُرْفَةِ النَّوْمِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي فِي وَاحِدَةِ الْبَيْتِ ، فَهِيَ
تُطِلُّ عَلَى مَنَظَرٍ بَدِيعٍ لِلْحَدِيقَةِ . أَرَى أَنَّكَ تَوَدِّينَ ... »

« أَحَلَّ . شُكْرًا لَكَ فَقَدْ كَانَتْ دَائِمًا عُرْفَتِي لَا تَصْغَدِي مَعِي
فَإِنِّي أَعْرِفُ الطَّرِيقَ . »

وَصَعِدَتِ الدَّرَجَ حَرِيًّا ، وَتَبِعَهَا فَرِيدْرِيكُ بِطُءٍ حَامِلًا حَقِيقَتَهَا فِي
يَدِهِ ، أَمَّا سِيسِيلِي فَقَدْ وَقَفَتْ تَرْقُبُهُمَا وَهُمَا يَصْعَدَانِ .

وَعِنْدَمَا عَادَ فَرِيدْرِيكُ إِلَى الرُّدْهَةِ أَلْفَى زَوْجَتَهُ تُحْدِقُ إِلَى النَّارِ ،
فَدَنَا مِنْهَا فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً : « لَقَدْ ارْتَكَبْتُ خَطَأً جَسِيمًا
يَا فَرِيدْرِيكُ . »

قَالَ : « لَا تَتَعَجَّلِي الْحُكْمَ . إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَتَسَيَّمُ بِالْعَرَابَةِ إِلَى حَدٍّ
مَا ، فَقَدْ اعْتَدْنَا الْحَيَاةَ الْهَادِئَةَ وَسَوْفَ نَسِيرُ الْأُمُورَ عَلَى مَا يُرَامُ »

كَانَ يُحَاوِلُ أَنْ يُسَرِّيَ عَنْهَا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِعَصِيَّةٍ ، وَكَانَ صَوْتُهُ مُنْخَفِضًا لِدَرَجَةٍ تَعَذَّرَ مَعَهَا أَنْ تَسْمَعَهُ .

وَمَرَّ أَسْوَعُ وَأَضْحَتْ سِيسِيلِي أَكْثَرَ أَمَلًا ، فَلَعَلَّهَا لَمْ تَرْتَكِبْ خَطَأً . وَلَمْ تَكُنْ إِيزَابِيلَ تَقْرِيًا تُسَبِّبُ لَهُمَا أَيَّ إِزْعَاجٍ ، وَكَانَتْ تُسَاعِدُ فِي أَعْمَالِ الْمَطْبَحِ ، وَتُشَارِكُ بِأَدَبٍ وَلِبَاقَةٍ فِي الْحَدِيثِ أَمَّا تَنَاوُلُهُمُ الطَّعَامَ ، وَالتَّاءِ جُلُوسَهُمْ فِي الْمَسَاءِ مَعًا . وَكَانَتْ تَأْوِي إِلَى الْفِرَاشِ مُبَكَّرَةً ، وَتَقْصِي مُعْطَمَ الْوَقْتِ فِي عُرْفَتِهَا الْخَاصَّةِ . وَنَدَتْ سَعِيدَةً فِي حَيَاتِهَا الْجَدِيدَةِ .

وَدَاتْ يَوْمَ قَالَتْ لَهَا سِيسِيلِي ، وَهُمَا فِي الْمَطْبَحِ ، وَكَانَ الْعَدَاءُ جَاهِزًا : « كَمْ يُؤَسِّفُنِي أَنْ تَشْعُرِي بِالْوَحْدَةِ ، خَاصَّةً وَأَنْ الْحَيَاةَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الدَّارِ الْكَبِيرَةِ تَبْعَثُ عَلَى الشُّعُورِ بِالْوَحْدَةِ لِفَتَاةٍ شَابَةِ مِثْلِكَ . وَلَكِنْ سَوْفَ يَتَحَسَّنُ الْحَالُ عِنْدَمَا تَنْتَهِي الْعِطْلَةُ ، وَسَوْفَ يَكُونُ لَكَ أَصْدِقَاءُ فِي مِثْلِ عُمْرِكَ عِنْدَمَا تَذْهَبِينَ إِلَى مَدْرَسَتِكَ الْجَدِيدَةِ . »

ابْتَسَمَتْ إِيزَابِيلُ قَائِلَةً . « أَشْعُرُ بِالْوَحْدَةِ ؟ إِنَّنِي لَا أَشْعُرُ بِالْوَحْدَةِ يَا سَيِّدَةُ فَرُوبِيشَرُ ، فَأَنَّى لِي أَنْ أَشْعُرَ بِالْوَحْدَةِ هُنَا ؟ »

سَرَّتْ سِيسِيلِي بِذَلِكَ الرَّدِّ ، فَلَعَلَّ إِيزَابِيلَ قَدْ أَحَبَّتَهُمَا ، فَقَالَتْ : « إِنَّ هَذِهِ رِقَّةٌ مِنْكَ يَا عَزِيزَتِي ، وَلَكِنَّكَ تَحْتَاجِينَ إِلَى أَصْدِقَاءَ فِي

مِثْلِ سِنْتِ . وَسَوْفَ يَكُونُ بِمَقْدُورِكَ أَنْ تُوجَّهِي الدَّعْوَةَ لِمَنْ سَتَصَادِقِينَهُمْ فِي الْمَدْرَسَةِ لِلْمَجِيءِ إِلَى هُنَا . »

« لَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَصْدِقَاءَ مِنَ الشَّبَابِ ، فَمَنْ أَحْتَاجُهُمْ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ مُوجُودُونَ هُنَا فَعَلًا . »

« نَعَمْ يَا عَزِيزَتِي ، فَجَمِيلٌ مِنْكَ أَنْ تَقُولِي هَذَا ، لَكِنْ فَرِيدْرِيكُ وَأَنَا أَكْبَرُ كَثِيرًا مِنْ أَنْ نَكُونَ ... »

« أَمَا لَمْ أَكُنْ أَفَكِّرُ فِيكَ وَلَا فِي زَوْجِكَ ! »

« مَاذَا تَعْنِينَ يَا إِيزَابِيلُ ؟ مَنْ ... ؟ »

وَعَادَرَتِ الْفَتَاةُ الْحُجْرَةَ قُلَّ أَنْ تُكْمِلَ سِيسِيلِي سُؤَالَهَا . وَالْعَلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهَا ، وَسَمِعَتْ سِيسِيلِي الْفَتَاةَ تَضْحَكُ ضِحْكَةً رَقِيقَةً وَهِيَ تَعْبُرُ الرَّدْهَةَ .

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ فَرِيدْرِيكُ وَسِيسِيلِي فَرُوبِيشَرُ يَجْلِسَانِ - بَعْدَ الْعِشَاءِ - فِي الرَّدْهَةِ بِجَانِبِ الْمِدْفَأَةِ ، وَكَانَتْ إِيزَابِيلُ قَدْ أَوَتْ إِلَى عُرْفَتِهَا بِالطَّائِقِ الْعُلُويِّ وَجَلَسَ الزَّوْجَانِ صَامِتَيْنِ ، وَكَانَ كِلَاهُمَا يُرِيدُ أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَى الْآخِرِ ، لَكِنْ الْكَلِمَاتُ لَمْ تُسْعِفْهُمَا .

وَقَطَعَتْ سِيسِيلِي حَتْلَ الصُّمْتِ ، وَتَكَلَّمَتْ بِهَدْوٍ شَدِيدٍ ، فَقَدْ

حَشِيتُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِصَوْتٍ عَالٍ . قَالَتْ : « لَا يَبْدُو أَنَّكَ عَلَى مَا يُرَامُ
يَا فَرِيدْرِيك . مَا الْأَمْرُ ؟ أَلَسْتَ سَعِيداً بِكِتَابِكَ الْجَدِيدِ ؟ »

« إِنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ أُشْرَحَ لَكَ الْأَمْرَ يَا سِيسِيلِي . إِنِّي أَعْرِفُ
أَنَّهَا حِمَاقَةٌ مِنِّي ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أُسْتَطِعْ كِتَابَةَ سَطْرٍ وَاحِدٍ مُنْذُ أَتَتْ
إِلَيْنَا إِيْزَابِيل ! »

« لَكِنِّهَا لَا تُزْعِجُكَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ إِنَّهَا لَا تُحْدِثُ جَلْبَةً ،
وَأَعْتَقِدُ أَحْيَاناً أَنَّهَا هَادِئَةٌ أَكْثَرَ مِمَّا يَبْغِي . »

« كَلَّا إِنَّهَا لَا تُزْعِجُنِي أَلَيْتَهُ . لَيْسَتْ إِيْزَابِيل هِيَ الَّتِي ... ثُمَّ
أَمْسَكَتْ عَنِ الْكَلَامِ وَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ .

« اكْمِلْ يَا فَرِيدْرِيك ! مِنْ فَضْلِكَ خَبِّرْنِي ! »

« إِنَّكَ تَعْرِفِينَ أَنَّهُ لِكُنِّي أَوَّلُ كِتَابٍ يَبْغِي أَنْ أَكُونَ وَحْدِي ، وَلَا
أُسْتَطِيعُ الْعَمَلَ إِلَّا حِينَ أَكُونَ وَحْدِي وَفِي جَوْ هَادِيٍّ ، وَلِذَا كَانَتْ
حُجْرَةُ مَكْتَبَتِي مُهَمَّةً لِلْعَايَةِ بِالنِّسْبَةِ لِي . إِنَّهَا كَبِيرَةٌ وَهَادِئَةٌ وَمُرِيحَةٌ ،
وَفِيهَا كُتُبِي . وَأَنَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَجْلِسَ إِلَى مَكْتَبَتِي وَأَكْتُبَ سَاعَاتٍ
طَوِيلَةً . »

« إِنِّي أَعْرِفُ ذَلِكَ يَا عَزِيزِي ، وَلَكِنْ يَخْتَلِفُ الْأَمْرُ عَنْ ذِي قَلْبٍ ؛

فَمَكْتَبَتُكَ هِيَ هِيَ كَمَا كَانَتْ دَائِماً ، وَأَنْتَ تَدْخُلُهَا كُلُّ صَبَاحٍ
بَعْدَ الْإِفْطَارِ وَتَقْطَعُ فِيهَا حَتَّى مَوْعِدِ الْعَدَاءِ . »

« أَجَلْ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ أَحْطُ حَرْفاً وَاحِداً . وَقَدْ حَاوَلْتُ جَاهِداً ،
وَلَكِنِّي لَا أُسْتَطِيعُ تَرْكِيزَ تَفْكِيرِي فِي عَمَلِي . إِنِّي لَسْتُ وَحْدِي
هُنَاكَ ! »

« لَسْتُ وَحْدَكَ ! مَاذَا تَقْصِدُ يَا فَرِيدْرِيك ؟ إِنِّي لَا أَدْخُلُ عَلَيْكَ
الْمَكْتَبَةَ أَبَداً وَأَنْتَ تَعْمَلُ . وَأَنَا مَوْقِفَةٌ مِنْ أَنْ إِيْزَابِيل لَا تَدْخُلُ عَلَيْكَ
أَيْضاً . أَمَّا إِذَا كَانَتْ تَفْعَلُ ، فَعَلَيْكَ إِذَا أَنْ تَهَايَا ، أَوْ أَنْهَايَا أَنَا . »

« لَا ، إِنَّهَا لَا تَدْخُلُ عَلَيَّ . وَلَكِنِّي عِنْدَمَا أَجْلِسُ فِي مَقْعَدِي
أَسْمَعُ صَوْتاً ، وَيَغْلِبُ عَلَى طَبْعِي أَنَّهُ صَوْتُ امْرَأَةٍ ... امْرَأَةٍ عَجُوزٍ !
وَيَبْدُو أَنَّهَا تَقُولُ لِي شَيْئاً ، وَلَكِنِّي لَا أَسْمَعُ كَلِمَاتِهَا . وَتَبْدُو لِي
الْعُرْقَةُ غَرِيبَةً ، وَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ غُرْفَتِي ، وَكَذَلِكَ الْمَكْتَبُ وَالْكُرْسِيُّ ...
لَا شَيْءَ فِي الْغُرْفَةِ يَبْدُو أَنَّهُ يَخْصُنِي . »

صَاغَتْ سِيسِيلِي : « كَفَى يَا فَرِيدْرِيك ! إِنَّكَ تُحِيفُنِي ! أَنْتَ
فِي حَاجَةٍ إِلَى الرَّاحَةِ ... إِلَى إِجَارَةٍ . يَجِبُ أَنْ ... »

وَأَمْسَكَتْ عَنِ الْكَلَامِ ؛ إِذْ سَقَطَ ظِلٌّ عَلَى وَجْهِهَا ، فَرَفَعَتْ

عَيْبُهَا لَتَرَى إِيزَابِيلَ وَاقِعَةً عَلَى الدَّرَجِ ، فَقَالَتْ لَهَا وَقَدْ كَسَا الْحَوَافُ
صَوْنَهَا بِالْعَصَبِ . • ماذا تريدِينَ ؟ لِمَاذَا تَتَحَرَّكِينَ بِهَذَا الْهُدُوءِ ؟ •

أَحَابَتِ الْفَتَاةُ وَقَدْ نَدَتْ لِهَمَا مُتَسِمَةً : • إِنِّي أَتَحَرَّكُ دَائِمًا
بِهُدُوءٍ ، فَأَلْتَمَأُ قُرَيْدَانِ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ هَادِئًا ، وَأَنَا أَحَاوِلُ إِلَّا أَسْبَبَ
لَكُمَا أَيُّ إِرْعَاحٍ لَقَدْ شَعَرْتُ بِالْعَطَشِ . قَرَلْتُ لِأَتَاوَلَ كَوْبًا مِنْ
الْمَاءِ .

• فَلَتَأْخُذِيهِ وَتَعُودِي إِلَى عُرْفَتِكَ .

• سَأَخُذُهُ ، يَا مَيِّدَةُ فُرُوبِيشَر .

وَعَادَتْ مِنَ الْمَصْطَحِ بَعْدَ لِحْظَاتٍ وَوَصَعَتْ الْكُوبَ ، وَ وَقَفَتْ
بَيْنَهُمَا وَقَالَتْ . • لَا أَطْرُقُ أَنَّ أَيًّا مِنْكُمَا قَدْ رَأَى جَدَّنِي ، أَلَيْسَ
كَذَلِكَ ؟ •

أَحَابَهَا فَرِيدْرِيكُ . • أَنَا لَمْ أَرَهَا وَلَا أَحَالَ رُوحَتِي رَأَتْهَا : إِذْ لَمْ
يَزُرْ أَحَدٌ مِنَّا هَذِهِ الدَّارَ عِنْدَمَا كُنْتُمْ تَعِيشُونَ فِيهَا لَقَدْ حَاضَتْ
. لَعَنْتُ لِلْإِقَامَةِ مَعَهَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، أَمَّا نَحْنُ فَلَمْ نَأْتِ إِلَى هَا .

• لَقَدْ عَاشَتْ جَدَّنِي مَعَهَا وَأَنَا صِفْلَةٌ صَغِيرَةٌ وَقَدْ أَحْسَنَتْهَا
حَسًّا شَدِيدًا وَكَانَتْ تَقْصُرُ عَلَيَّ حِكَايَاتٍ كَثِيرَةً عَنْ هَذَا الْبَيْتِ .



وَهُوَ بَيْتٌ عَتِيقٌ كَمَا نَعْرِفَانِ . وَقَدْ مَاتَتْ هُنَا ، وَقَدْ أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ
ثُرُوتُهُ ، فَاشْتَرَيْتُمَا أَنْتُمَا دَارَنَا هَذِهِ .

« إِنَّهَا مَأْسَاةٌ يَا إِبْرَاهِيلَ ، وَكَمْ يُحْزِنُنَا مَا حَدَثَ ، وَلَكِنْ ... »

« لَا تَحْزَنَا مِنْ أَجْلِ ، فَقَدْ عُدْتُ الْآنَ . وَقَدْ وَعَدْتَنِي حَدَثَنِي بِأَنْ
هَذِهِ الدَّارُ سَتَكُونُ لِي . »

وَابْتَسَمَتْ إِبْرَاهِيلُ لَهُمَا ثَابِتَةً ، وَخَيَّمَ الصَّمْتُ دَقِيقَةً أَوْ دَقِيقَتَيْنِ
قَطَعَتْهُ بِقَوْلِهَا : « أَمَلُ أَنْ تَسْمَعَ لِي بِاسْتِعْمَالِ غُرْفَةِ مَكْتَبَتِكَ يَا سَيِّدُ
فَرُوبِيشَر ، فَقَدْ كَانَتْ غُرْفَةُ حَدَثَنِي الْحَاصَّةَ ، وَلَمْ تَكُنْ تُحِبُّ أَنْ
يَسْتَعْمِلَهَا أَحَدٌ سِوَاهَا إِلَّا أَنَا . وَكَانَتْ حَرِيصَةً عَلَى أَنْ أَجْلِسَ مَعَهَا
فِيهَا ، حَيْثُ اعْتَدْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَسْتَمَعَ إِلَى قِصَصِهَا . وَأَعِدُّكُمْ
بِأَنِّي سَوْفَ أَكُونُ فِي عَايَةِ الْهَدْوِ عِنْدَمَا أَدْخُلُ الْغُرْفَةَ ، فَقَدْ كُنْتُ
دَائِمًا هَادِئَةً عِنْدَمَا كَانَتْ تُحْكِي لِي . »

« لَكِنْ ... لَا أَظُنُّ ... لَا ... لَنْ يَكُونَ ! » ثُمَّ تَلَا شَيْ صَوْتُ
فَرِيدْرِيكَ ، وَالتَفَتَ إِلَى امْرَأَتِهِ قَرَأَهَا وَقَدْ عَطَتْ وَحْهَهَا بِيَدَيْهَا .

« لَا تُحَاوِلِ اتِّحَادَ الْقَرَارِ الْآنَ . آه ، لَقَدْ كِدْتُ أَسَى . هَا هِيَ
ذِي صُورَةٍ لِجَدَّتِي ، وَقَدْ أَحْصَرْتُهَا مَعِي مِنْ فَوْقَ ، وَإِنِّي لَمَوْقِنَةٌ بِأَنَّهَا
سَتَشِيرُ أَهْتِمَامَكَ يَا سَيِّدَةُ فَرُوبِيشَر . »

وَدَسَتْ إِبْرَاهِيلَ الصُّورَةَ فِي يَدِ مِيسِي قَائِلَةً : « أَنْظُرِي إِلَيْهَا ،
فَلَعَلَّكَ تَعْرِفِينَ عَلَيْهَا رَغَمَ كُلِّ شَيْءٍ . »

وَشَحَبَ وَجْهَ مِيسِيلِي ، وَدَوَتْ صَرْخَةُ الْفَرْعِ الَّتِي أَطْلَقَتْهَا فِي
الْعُرْفَةِ الْهَادِئَةِ ؛ فَقَدْ نَعَرَفْتُ عَلَى الصُّورَةِ . وَكَانَتْ صُورَةُ الْمَرْأَةِ
الْعَجُوزِ الَّتِي رَأَتْهَا فِي مَنَامِهَا .

لَمْ تُغْمَضْ عَيْنٌ لِأَيِّ مِنَ الرُّوحَيْنِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، بَلْ رَقَدَا فِي
فِرَاشِهِمَا يَتَحَدَّثَانِ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ طَوَالَ اللَّيْلِ .

« مَاذَا نَحْنُ فَاعِلَانِ يَا فَرِيدْرِيكَ ؟ يَحِبُّ أَنْ تَرْحَلَ الْفَتَاةُ ، فَإِنَّهَا
تُرِيدُ طَرْدَنَا مِنْ مَنْزِلِنَا ! »

« إِنَّهَا لَنْ تَسْتَطِيعَ طَرْدَنَا مِنَ الدَّارِ . »

« لَكِنَّهَا لَيْسَتْ وَحْدَهَا . إِنَّ تِلْكَ السَّيِّدَةَ الْعَجُوزَ الرَّهِيئَةَ هُنا ،
وَهِيَ تُسَاعِدُهَا . أَلَا تَذْكُرُ مَا قَالَتْهُ إِبْرَاهِيلُ ؟ لَقَدْ قَالَتْ إِنَّ جَدَّتَهَا
وَعَدَتْهَا بِهَذِهِ الدَّارِ ، وَسَتَنْزِعُهَا مِنَّا . »

« مُسْتَحِيلٌ ، فَهِيَ دَارُنَا ، وَقَدْ اشْتَرَيْنَاهَا بِقُودِيَا . وَكَيْفَ يُمَكِّرُ
أَنْ نَكُونَ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ هُنَا وَهِيَ فِي عِدَادِ الْأَمْوَاتِ ؟ ! »

« فَسِّرْ لِي إِذَا لِمَاذَا تَشْعُرُ بِأَنَّكَ لَيْسَتْ وَحْدَكَ فِي الْمَكْتَبَةِ ؟ مَنْ

هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي يَكُونُ مَعَكَ فِيهَا ؟ لِمَادَا تَعْرِفُتُ أَنَّهُ عَلَى
تِلْكَ الصُّورَةِ ؟

« وَلَكِنْ ، يَا سِيسِيلِي ... »

« صَبْرٌ ! أَنْصِتْ ! »

لَقَدْ طَرَفَ آدَاهُمَا صَوْتُ بَابِ الْمَكْتَبَةِ يَنْفَتَحُ ثُمَّ يَغْلِقُ ، وَوَقَعَ
حُطُوطَاتٍ وَثِيدَةٌ تَعْرِى الرَّدْهَةَ . وَحِيلَ إِلَيْهِمَا أَنَّ شَخْصًا مَا يَرْتَقِي السُّلَّمِ
. وَسَمِعَا وَقَعَ أَقْدَامَ تَمَرٍّ أَمَامَ مَخْدَعِهِمَا وَفَحَاةً انْفَتَحَ بَابُ الْمَخْدَعِ
وَانْعَلَقَ . وَسَمِعَا صَوَانًا تَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ فِي الظُّلَامِ .

وَأَمْسَكَتْ سِيسِيلِي بِيَدِ زَوْجِهَا قَائِلَةً : « خُذْنِي فِي الْغَدِ بَعِيدًا عَنْ
هُنَا يَا فَرِيدْرِيك . إِنِّي خَائِفَةٌ ! »

« سَرَّحِلْ عَدَا يَا عَرِيرَتِي ، وَلَكِنْ يَحْتَاجُ أَنْ تَأْتِي إِيرَابِيلُ ، فَلَا
يُمْكِنُ أَنْ تَتْرَكْهَا هُنَا وَحْدَهَا . »

وَعِنْدَمَا طَلَعَ الشَّهَارُ ارْتَدَى فَرِيدْرِيكُ ثِيَابَهُ عَلَى عَجَلٍ قَائِلًا :
« أَحْرَمِي حَقِيقَةً ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ نُقِيمَ فِي أَحَدِ فُادِقِ الْقَرْيَةِ يَوْمًا أَوْ
اِثْنَيْنِ وَسَأَوْقُظُ إِيرَابِيلَ . ثُمَّ أَعِدُّ بِرِيقًا مِنَ الشَّاي ، وَنَرْحَلْ بَعْدَ
ذَلِكَ . »

وَقُلَّ أَنْ تَكُونَ سِيسِيلِي حَاهِرَةً عَادَ فَرِيدْرِيكُ قَائِلًا : « أَسْرِعِي !
اتْرَكِي تِلْكَ الْحَقِيقَةَ ، فَإِنَّ إِيرَابِيلَ لَيْسَتْ فِي عُرْفَتِهَا . »

« لَيْسَتْ فِي عُرْفَتِهَا ! أَيْنَ هِيَ إِذَا ؟ »

وَأَسْرَعَ فَرِيدْرِيكُ بِرُوحَتِهِ إِلَى الطَّائِقِ السُّفْلِيِّ . وَخَرَجَا مِنَ الدَّارِ
قُلَّ أَنْ يُحِيبَ بِقَوْلِهِ : « إِنَّ بَابَ عُرْفَةِ الْمَكْتَبَةِ مَوْصَدٌ ، وَلَا اسْتَطِيعُ
الدُّخُولَ . لَكِنْ إِيرَابِيلُ بِالدَّاحِلِ ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ الْآنَ إِلَى شَخْصٍ
مَا . » وَدَهَبَ بِالسَّيَّارَةِ إِلَى الْقَرْيَةِ وَتَرَكَ سِيسِيلِي فِي الْفُنْدُقِ قَائِلًا
« سَتَكُونِينَ فِي مَأْمَرٍ هُنَا ، فَانْقِي حَتَّى أَعُودَ . »

« أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ يَا فَرِيدْرِيك ؟ »

« إِنِّي مَاصِرٌ فِي طَلَبِ شُرْطِيٍّ وَاسْتِدْعَاءِ الطَّيِّبِ ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى
دَارِنَا - إِذَا كَانَتْ دَارِنَا حَقًّا ! »

قَالَ الشُّرْطِيُّ : « إِنِّي مُضْطَّرٌّ إِلَى كَسْرِ إِحْدَى الْبُؤَاهِدِ ، وَالدُّخُولِ
مِنْهَا ، فَإِنَّ الْفَقْلَ مَتِينٌ وَلَا يُمْكِنُ كَسْرُهُ . »

أَمَّا فَرِيدْرِيكُ فَرُوِيْشِرُ وَالطَّيِّبُ فَقَدْ وَقَفَا مُتَرَقِّبَيْنِ عَلَى بَابِ
الْمَكْتَبَةِ ، وَسَمِعَا رُحَاحَ النَّافِذَةِ يَتَحَطَّمُ ، وَالْمِفْتَاحُ يُدَارُ وَالْبَابُ يَنْفَتَحُ .

« أَفْضَلُ أَنْ تَدْخُلَ أَنْتَ وَحْدَكَ يَا دُكْتُورَ لَا السَّيِّدُ فَرُوِيْشِرُ ، فَإِنَّ

وَأَزْدَادَتْ سُرْعَةً ضَرْبَاتِ قَلْبِ فَرِيدْرِيك ، وَسَمِعَ جَلَّةً فِي الْمَكْتَبَةِ ،
وَكَانَ الشَّرْطِيُّ يَتَكَلَّمُ ، ثُمَّ سَمِعَ صَوْتَ كُرْسِيِّ يُنْقَلُ مِنْ مَوْضِعِهِ ،
وَقَالَ الطَّبِيبُ شَيْئًا . وَمَرَّتْ دَقَائِقُ كَانَتْهَا سَاعَاتٌ .

وَأَخِيرًا انْفَتَحَ بَابُ الْمَكْتَبَةِ ، وَخَرَجَ الطَّبِيبُ وَتَقَدَّمَ مِنْ فَرِيدْرِيك
وَأَمْسَكَ بِذِرَاعِهِ ، وَقَادَهُ إِلَى كُرْسِيِّ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ الرَّذْهَةِ .

قَالَ الطَّبِيبُ : « لَقَدْ مَاتَتْ يَا سَيِّدُ فَرُورِيشر ، وَهِيَ الْآنَ جَالِسَةٌ
فِي كُرْسِيِّ الْمَكْتَبِ الْكَبِيرِ . كَمْ كَانَ عُمُرُهَا ؟ »

« سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا يَا دُكْتُور . لَقَدْ حَلَّ عِيدُ مِيلَادِهَا السَّادِسَ عَشَرَ
قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ لِتَعِيشَ مَعَنَا . »

« سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا ! إِنَّ الْمَرْءَ لَيَحَارُ فِي فَهْمِ مَا حَدَثَ لَهَا . إِنَّ
شَعْرَهَا أَشْيَبُ ، وَوَجْهَهَا وَجْهُ سَيِّدَةِ عَحْزٍ ! »

بطاقة عيد ميلاد للسيدة روجرز

تَناولتُ حَقِيقَةَ الرِّسَائِلِ وَعَادَرْتُ مَكْتَبَ الْبَرِيدِ . كَانَتْ الْحَقِيقَةُ
ثَقِيلَةً ، وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أُسَلِّمَ كَثِيرًا مِنَ الْحِطَابَاتِ لِأَصْحَابِهَا ،
وَلَكِنِّي كُنْتُ مُنْتَهَجًا لِلْغَايَةِ . كَانَتْ السَّاعَةُ السَّابِعَةَ ، وَكَانَ صَبَاحًا
صَفِيًّا حَمِيلًا ، وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةً تُبَشِّرُ بِبَهَارٍ دَافِئٍ .

وَبَدَأْتُ حَوْلَنِي الطُّوبَى فِي شَوَارِعِ هَلُوبِك مُشْرِحَ الصَّدْرِ ، وَلَمْ
يَكُنِ الصَّاحُ الْمَشْرِقُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي حَفَلَنِي أَشْعُرًا بِالسَّعَادَةِ . لَقَدْ
كُنَّا - أَنَا وَزَوْجَتِي - نَعِيشُ قُلُوبَ ذَلِكَ فِي لُنْدُن . وَقَدْ عَمِلْتُ مُورَعًا
لِلْبَرِيدِ هُنَاكَ زَمَنًا طَوِيلًا ، ثُمَّ سَنَحْتُ لِي الْفُرْصَةَ لِلْحُصُولِ عَلَى
وَصِيغَةِ مُوزَعِ بَرِيدٍ فِي هَلُوبِك فَقَرَّرْتُ قَبُولَهَا . وَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسِي عِدَّةَ
مَرَّاتٍ عَمَّا إِذَا كُنْتُ قَدْ اتَّحَدْتُ الْقَرَارَ السَّيِّمَ ، فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ
دَائِمًا أَنْ يَتْرَكَ الْإِنْسَانُ مَكَانًا اعْتَادَهُ ، وَلَكِنِّي الْآنَ - وَتَعَدُّ سِتَّةَ

أسابيع من انتقالي - تبينت أنني كنت مُصيباً في قراري . وقد عثرنا
على دار صغيرة مريحة بحديقة لطيفة . وقد أحببنا جو المدينة
الهادئة . وأنشأنا نعض الصداقات ، وأسعدتنا الحياة كثيراً في
هوليوك . وكنت أعرف أننا سننعم بحياتنا فيها .

لقد أحببت دائماً عملي الذي يتيح لي استنشاق الهواء العليل ،
وممارسة التمارين الرياضية ، وموزع البريد يتمتع بكلّهما . ولو
كنت حصلت على وصيفة مكتّبة لما أحببتها ، فأني أبعض
الجلوس إلى مكتب طوال اليوم .

وأحسب أن عملي يعدّ من الأعمال المهمة ، فالناس يحتاجون
إلى موزعي البريد ليوصلوا رسائلهم سالمة . والشركات ترسل
الطلبات وتتسلمها بطريق البريد ، ولا ريب في أن الأعمال تتوقف
في أي دولة إذا لم يكن هناك بريد .

لكن تسليم الخطابات الخاصة هو بالنسبة لي أفضل شيء .
وخطابات الشركات والمؤسسات لها أهميتها البالغة ، غير أنني - في
الحقيقة - أشعر بمتعة في الذهاب إلى المارل لتسليم الخطابات
الشخصية . إنني أدفع بالخطابات والبطاقات من خلال فتحات
صناديق الخطابات ، متمنياً أن تحوي أبناء سارة . وهذه الخطابات

الخاصة من الممكن أن تحمل لأصحابها الكثير من السهجة ،
فالأصدقاء القدامى يكتب كل منهم للآخر ، والأبناء يكتبون
لآبائهم وأمهاتهم . وكم يسعدني أن أسلم هذه الرسائل لأصحابها .

ولكن الخطابات الخاصة لا يمكن أن تحمل دائماً أبناء سارة
لأصحابها ، وهذا شيء يديهي ، إذ لا يمكنني أن أجزم بأنني
أحمل دائماً أبناء سارة ، لكنني أحب أن أرى أن عملي يدخل
السرور إلى قلوب الناس وتحوي الخطابات أحياناً أبناء سيئة ، ورغم
ذلك فالعالية العظمى من الناس يترقبون محيي موزع البريد . وما
أحلى وقع صرير فتح صندوق الخطابات في آذانهم ، وهم يتطلعون
إلى بريدهم !

كنت أفكر في كل هذه الأمور وأنا أسير في شارع عولد في
ذلك الصباح الصيفي المشرق . وكانت العالية العظمى من مانيه
متأخر ومكاتب ، وقد سلمتها جميعاً رسائلها . وهكذا خف حمل
حنييني عندما بلغت آخر الشارع ، حيث انعطفت يساراً في شارع
نشيرش ، وبهذا انحرفت أشق حُرء في عمل الصباح أما بقية
حولتي فقد كانت في شوارع هادئة ، وكان عليّ أن أسلم رسائل
في ستة شوارع منها قبل أن أعود إلى مكتب البريد

وَلَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ حِطَابَاتٍ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَارِلِ فِي شَارِعِ تَشِيرِشْ فِي
ذَلِكَ الصَّاحِ ، فَلَمَّتُ آجِرَ الْمَارِلِ بِسُرْعَةٍ ، وَهُوَ الْمَنْزِلُ رَقْمُ ٩٢ .
وَكَانَ مَعِيَ ثَلَاثُ رِسَائِلَ عَلَى ذَلِكَ الْعُتْوَانِ وَعِنْدَمَا فَتَحْتُ بَابَ
الْحَدِيقَةِ الْأَمَامِيَّ طَرَقَ مِسْمَعِي صَوْتُ يَقُولُ : « لَقَدْ نَسِيتُ خِطَابِي
أَيُّهَا الْمَوْزَعُ »

كَانَ الصَّوْتُ قَادِمًا مِنْ حَدِيقَةِ الْمَنْزِلِ رَقْمُ ٩١ ، حَيْثُ كَانَتْ
تَقِفُ امْرَأَةٌ أَمَامَ بَابِ الْمَنْزِلِ . وَقَدْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرَاهَا بِوُضُوحٍ فِي
النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى ، مِنْ حِلَالِ السَّوْرِ الْحَشِيِّ الْمُنْحَفِصِ الَّذِي يَفْصِلُ
بَيْنَ الْحَدِيقَتَيْنِ

أَحْبَبْتُهَا « أَتَصْرِي لِحُطَّةٍ مِنْ فَضْلِكَ . سَأَسْلَمُ هَذِهِ الْحِطَابَاتِ
فِي الْمَنْزِلِ رَقْمُ ٩٢ ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْكَ . »

وَدَفَعْتُ بِالرُّسَائِلِ مِنْ حِلَالِ قُتْحَةِ صُنْدُوقِ الْحِطَابَاتِ فِي الْمَنْزِلِ
رَقْمُ ٩٢ ، ثُمَّ سِرْتُ مُتَمَهِّلًا فِي مَمْشَى حَدِيقَةِ الْمَنْزِلِ رَقْمُ ٩١ ،
وَقُتِشْتُ فِي حَقِيبَتِي وَلَكِنِّي لَمْ أَحْذِ أَيَّ حِطَابٍ يَحْمِلُ عُتْوَانَ ٩١
شَارِعِ تَشِيرِشْ ، هَلْوَيْكَ .

طَلَّتِ الْمَرْأَةُ وَاقِفَةً هُنَاكَ تَنْتَظِرُنِي وَعَلَى وَجْهِهَا ابْتِسَامَةٌ خَفِيفَةٌ .
وَبَدَتْ مَوْقِفَةً نَائًا لَدَيَّ حِطَابًا لَهَا ، فَقَدْ مَدَّتْ إِلَيَّ يَدَهَا ، وَاسْتَطَعْتُ

أَنْ أَرَى خَاتَمًا كَبِيرًا مِنَ الذَّهَبِ فِي إِصْبَعِهَا ، وَقَدْ لَمَعَ شَعْرُهَا
الْأَشْيَبُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ . وَكَانَتْ تَرْتَدِي ثَوْبًا أُخْصِرَ دَاكِئًا ،
وَحِدَاءً لَامِعًا . وَكَانَتْ تَبْدُو سَعِيدَةً لِدَرَجَةِ أَنِّي أَعَدْتُ تَقْفِيشَ
حَقِيقَتِي مَرَّةً ثَانِيَةً ، إِذْ لَمْ أَشَأْ أَنْ أَرُدَّهَا حَرِيئَةً مَكْسُورَةَ الْفُؤَادِ .

قَالَتْ : « رُبَّمَا تَكُونُ بِطَاقَةٍ ، فَإِنَّهُ أَحْيَاؤًا يُرْسِلُ لِي حِطَابًا وَأَحْيَاؤًا
أُخْرَى بِطَاقَةٍ . »

كَانَ صَوْتُهَا نَاعِمًا رَقِيقًا ، وَكَانَتْ عَيْنَاهَا الْعَسَلِيَّتَانِ تَرْمُقَانِي .
وَمَضَتْ تَقُولُ : « بِطَاقَةٍ ، بِطَاقَةٍ أَوْ حِطَابٍ مِنْ أُنِّي ، أَقْصِدُ ، مَنْ
ابْنِي الَّذِي يُقِيمُ فِي أَمْرِيكَ . إِنَّهُ يَعْمَلُ هُنَاكَ الْآنَ ، وَهُوَ يَعِيشُ فِيهَا
مُنْذُ سَنَاتٍ طَوِيلَةٍ ، وَلَمْ يَنْسَ عِيدَ مِيلَادِي . وَالْيَوْمَ عِيدُ مِيلَادِي ،
أَيُّهَا الْمَوْزُغُ ! »

« أَتَمَنَّى لَكَ السَّعَادَةَ يَا .. » وَحَاوَلْتُ الْكَلَامَ مَعَهَا ، فَقَدْ كُنْتُ
أَتَمَنَّى أَنْ أَدْخُلَ إِلَى قَلْبِهَا السَّعَادَةَ ، وَكُنْتُ أَوَدُّ أَنْ يَكُونَ مَعِيَ
حِطَابٌ لَهَا ، وَلَكِنِّي كُنْتُ مُوقِنًا بِأَنَّهُ لَيْسَ مَعِيَ شَيْءٌ يَحْصُهَا .

« أَرْجُو أَنْ تَبْحَثَ ثَانِيَةً أَيُّهَا الْمَوْزُغُ . إِنَّنِي مُوقِنٌ مِنْ أَنَّكَ سَتَجِدُ
فِي حَقِيقَتِكَ حِطَابًا أَوْ بِطَاقَةً لِلسَّيِّدَةِ رُوحَرُ . لِإِمِيلِي رُوحَرُ الْقَاطِئَةِ
فِي الْمَنْزِلِ رَقْمُ ٩١ شَارِعَ تَشِيرش . »

وَتَظَاهَرْتُ بِالتَّقْفِيشِ فِي حَقِيقَتِي مَرَّةً أُخْرَى ، وَأَحْرَحْتُ الرُّسَائِلَ
الْقَلِيلَةَ الْبَاقِيَةَ ، وَتَظَاهَرْتُ بِقِرَاءَةِ الْعَنَاوِينِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا ، وَأَنَا
أَعْرِفُ أَنِّي لَمْ أَحْطِئْ ، فَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شَيْءٍ لِلسَّيِّدَةِ رُوحَرُ ، غَيْرَ
أَنِّي لَمْ أَشَأْ أَنْ أَحْزِنَهَا

وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَتَظَاهَرُ بِأُنِّي أَتَبَحُّثُ عَنْ الْحِطَابِ الْمَشْهُودِ ، شَعَرْتُ
بِالْغَضَبِ مِنْ ابْنِهَا . فَمِنْ الْقِسْوَةِ أَنْ يَنْسَى عِيدَ مِيلَادِ أُمِّهِ ، وَبِالطَّعِ
لَمْ أَقُلْ لَهَا ذَلِكَ

وَوَحَدْتَنِي آخِرُ الْأَمْرِ مُضْطَرًّا إِلَى أَنْ أَتَكَلَّمَ ، فَلَمْ يَكُنْ فِي
مَقْدُورِي أَنْ أَقِفَ هُنَاكَ الْيَوْمَ بِصَوْلِهِ ، مُتَظَاهِرًا بِالْبَحْثِ عَنْ حِطَابِهَا ،
فَقَدْ كَانَ لَدَيَّ عَمَلٌ آتِجُهُ ، وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَعُودَ إِلَى مَكْتَبِ الرِّيدِ .

« أَا آسِفٌ يَا سَيِّدَتِي ، فَلَيْسَ مَعِيَ حِطَابٌ لَكَ ، وَرُبَّمَا يَكُونُ
ثَمَّةَ حِطَابٍ أَوْ بِطَاقَةٍ فِيمَا بَعْدُ . إِنِّي جَدُّ آسِفٍ ، إِذْ يَجِبُ أَنْ .. »

وَتَلَاشْتُ الْإِتْسَامَةَ السَّعِيدَةَ مِنْ عَلَيَّ وَحْدَ السَّيِّدَةِ ، وَلَا حَظَّتْ
الدَّمُوعُ تَتَرَقَّرُ فِي عَيْنَيْهَا . وَفَحَاءً ، بَدَتْ وَكَانَهَا شَبَحَ ضَيْئِلٍ صَاعِرٍ
فِي السَّنِّ !

قُلْتُ لَهَا : « إِنَّكِ مَرِيضَةٌ ، فَدَعِيسِي أَسَاعِدُكَ فِي الدُّخُولِ إِلَى
الْبَيْتِ . »

قالت : « لا ! لا ! » وكان صوتها وهما جدا . وقالت ثانية :
« لا ! أنا لا أهتم . إنه أبني .. أبي العزيز لا بد أن مكروها ألم
به . لأنه لم ينس هذه المناسبة قط . » وتركتني ومضت .

أما أنا فقد تمهلْتُ في سيري في ممشي الحديقة حتى إذا ما
بلغتُ البوابة التفتُ خلفي ، فوجدتُ باب المنزل رقم ٩١ مغلقا ،
وأن السيدة قد اختفت .

سلمتُ كل ما كان في حقيتي من رسائل وبطاقات ، وعدتُ
إلى مكتب البريد . فقد أحرْتُ عمل الصباح ، وأصحتُ حرا حتى
السادسة من مساء ذلك اليوم ؛ فقد كان علي أن أعود إلى مكتب
البريد لأحمل الحصاتِ الصادرة من هلويث ، لأسلمها في محطة
السكة الحديدية ليحملها القطار . ومضيتُ إلى داري ألتمسُ شيئا
من الراحة ، ثم أقومُ ببعض الأعمال في حديقتي .

وركتُ دراجتي حتى بهاية شارع شيب ، غير أنني لم أبتعد
كثيرا ؛ إذ توقفتُ عند مطعم صغير ، ودخلته وطلتُ فنجانا من
القهوة . ولم أكنُ في الواقع أريدُ القهوة بقدر ما أردتُ أن
أعطي نفسي فرصة لتفكير . وعلى هذا فقد اتحدتُ مجلسي إلى
مائدة بجوار النافذة التي يعمرها ضوء الشمس ، ورحتُ أرقبُ الناس



السائرين في الشارع ، فبردتِ القهوة .

ولم أستطع أن أصرف تفكيري عن السيدة روجر ، فرحتُ أفكر
فيها طوال الصباح . يا لها من امرأة مسكينة ! وكنتُ لا أزال أرى
الدموع تترقرق في عينيها . يا له من عيد ميلاد حزين بالنسبة لها !

فَقَدْ كَانَتْ شَدِيدَةَ الْإِعْمالِ وَهِيَ تَرْقُبُنِي . وَقَدْ تَسَبَّتْ زِيَارَتِي
لِلْمَنْزِلِ الْمُجَاوِرِ لِمَنْزِلِهَا فِي تَعَاسُفِهَا إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ . وَلَمْ يَكُنِ الدُّنْبُ
دَنِي أَنَا ، بِالطَّبَعِ ، إِنَّمَا الدُّنْبُ دَنْتُ أَبِهَا ، فَهُوَ الْمَلُومُ ، إِذْ نَسِي
عِيدَ مِيلَادِهَا . لَقَدْ تَسَبَّتَ فِي حُرْبِهَا . لِأَنَّهُ كَانَ مُهْمَلًا ، لَا نِلَ أَسْوَأَ
مِنْ مُهْمَلٍ - كَانَ قَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ !

يَبْدُ أَيُّ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُنْسى وَحْهَهَا الْخَرِيرَ . وَلَكِنْ هَذَا لَمْ يُعِدْ
السَّيِّدَةَ رُوحَ حُرٍّ بِأَيِّ نَفْعٍ . إِنَّ الدُّنْبَ دَنْتُ ، وَأَعْرِفُ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهَا لَا
تَزَالُ نَعِيسَةً ، فَمَاذَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَفْعَلَ ؟

وَحْطَرْتُ لِي فِكْرَةً لَعَلَّهَا لَيْسَتْ فِكْرَةً بَارِعَةً ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ
أَفْضَلَ مَا أُمَكِّنُنِي التَّفَكُّيرَ فِيهِ ، فَتَرَكْتُ فِجَاجَ قَهْوَتِي السَّارِدَةِ عَلَى
الْمَائِدَةِ وَتَدَفَعْتُ إِلَى الشَّارِعِ ، وَرَكْتُ دَرَاخَتِي إِلَى شَارِعِ غُولَدٍ
بِأَسْرَعٍ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَاتَّجَهْتُ إِلَى مَحَلِّ لِبَيْعِ الصُّحُفِ حَيْثُ يَبِيعُونَ
الْبِطَاقَاتِ الرَّيْدِيَّةَ الْمَصُورَةَ ، وَبِطَاقَاتِ أَعْيَادِ الْمِيلَادِ ، وَانْتَقَيْتُ بَطَاقَةً
لِلْسَّيِّدَةِ رُوحَ حُرٍّ .

وَقَدْ بَدَلْتُ عِبَايَةَ هَائِقَةٍ فِي اخْتِيَارِ بَطَاقَةِ عِيدِ الْمِيلَادِ ، وَلَمْ يَكُنْ
هَذَا بِالْأَمْرِ الْهَيِّسِ ، فَقَدْ كَانَ الْكَثِيرُ مِنَ الْبِطَاقَاتِ مُنَاسِبًا لِلْأَطْفَالِ
فَقَطْ ، وَكَانَ مُعْظَمُ الْبِطَاقَاتِ الَّتِي لِلْكِبَارِ غَيْرَ مُنَاسِبٍ ، فِي

تَقْدِيرِي ، لِلْسَّيِّدَةِ رُوحَ حُرٍّ وَبَطِيعَةِ الْحَالِ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهَا جَيِّدًا ،
فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً هَذَا الصَّبَاحَ . وَلَكِنِّي مَوْقِفٌ بِأَنَّهَا امْرَأَةٌ
حَسَّاسَةٌ ، أَحْرَتَهَا قَسْوَةُ أَبِهَا عَلَيْهَا . إِنَّ الطَّرِيقَةَ الَّتِي كَانَتْ تَرْتَدِي
بِهَا مَلَاسَهَا وَطَرِيقَةَ حَدِيثِهَا نَمَتْ عَنْ حَسَاسِيَّتِهَا

وَأَدْرَكْتُ أَنَّ بِطَاقَاتِ أَعْيَادِ الْمِيلَادِ الصَّاحِكَةِ لَنْ تَرُوقَهَا فَقَدْ
قَصِدْتُ تَصْمِيمِهَا أَنْ تَكُونَ مُصْحَكَةً ، لَكِنَّهَا لَمْ تَفْعَلْ فِي أَنْ تَحْعَلِي
أَبْتَسِمُ ، وَلَنْ تَجْعَلَ السَّيِّدَةَ رُوحَ حُرٍّ تَتَسَمُّ هِيَ أَيْضًا ، فَأَفْصَلُهَا سَخِيفَ
وَأَسْوَأَهَا مُفَرَّ . أَمَّا بِطَاقَاتُ عِيدِ الْمِيلَادِ الَّتِي عَلَيْهَا صُورُ الْحَيَوَانَاتِ
فَهِيَ سَبِيحَةٌ مِثْلُهَا . وَقَدْ أَعْيانِي التَّصْلُعُ إِلَى صُورِ الْقِطْطِ وَالْكِلابِ
وَالْحَيَادِ دَاتِ الْأَلْوَانِ الْقَصِيحَةِ أَمَّا الصُّورُ الْفُوتُوغَرَفِيَّةُ وَالرُّسُومُ فَكَانَتْ
فَطِيعَةً ، فَالْحَيَوَانَاتُ لَمْ تَكُنْ تُشَبِّهُ الْحَيَوَانَاتِ الْحَقِيقِيَّةَ ، وَبَعْضُهَا
كَانَ يَرْتَدِي ثِيَابًا . قَطَطُ نَضَحَتْ أَوْ كِلَابٌ تَكِي ! وَأَحْصِيَّةٌ تَتَكَلَّمُ !
إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ أُعْطِيَ السَّيِّدَةَ رُوحَ حُرٍّ وَاحِدَةً مِنْهَا .

وَأَحِيرًا عَثَرْتُ عَلَى ضَالَّتِي الْمَشُودَةِ . وَكَانَتْ نُسْخَةً مِنْ صُورَةٍ
رَسَمَهَا نِيرَرُ الْمَصُورِ الْإِنْجِلِيرِي الْعَظِيمِ . وَكَانَتْ الْأَلْوَانُ مُنَاسِقَةً
بِشَكْلِ رَائِعٍ ، وَكَانَتْ بِدَاخِلِهَا رِسَالَةٌ صَادِقَةٌ . « عِيدُ مِيلَادِ سَعِيدٍ » .
وَكَانَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ هِيَ كُلُّ مَا فِيهَا .

وَتَحْتَ هَذِهِ الرُّسَالَةِ كَتَبْتُ : « إِلَى السَّيِّدَةِ رُوحَرُز . وَآمَلُ أَنْ
أَتِيكَ عَدَا بِطَاقَةِ تَهْنِئَةٍ مِنْ أَيْنِكَ . » وَوَقَعْتُ بِاسْمِي ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ
عِمَارَةً « مُوزَعُ الْبَرِيدِ » .

وَشَعَرْتُ بِتَحَسُّنٍ فِي نَفْسِي عِنْدَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ ، فَسَوْفَ تَتَلَقَّى
السَّيِّدَةُ رُوحَرُزُ بِطَاقَةِ تَهْنِئَةٍ بِعِيدِ مِيلَادِهَا ، رَغْمَ كُلِّ الظُّرُوفِ .
وَبَطَبِيعَةِ الْحَالِ فَإِنَّ أَلْفَ بِطَاقَةِ تَهْنِئَةٍ مِنْ غَرِيبٍ لَا تُضَارِعُ وَاحِدَةً مِنْ
أَبْنِهَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ هَذَا ، وَأَعْرِفُ أَنِّي لَنْ أَسْتَطِيعَ إِدْخَالَ
الْبَهْجَةِ إِلَى نَفْسِهَا كَمَا كَانَ سَيَفْعَلُ هُوَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْعَثْ إِلَيْهَا
بِطَاقَةٍ فِي عِيدِ مِيلَادِهَا ، أَمَا أَنَا فَفَعَلْتُ وَعَلَى الْأَقْلُ سَوْفَ نَعْرِفُ
أَنْ ثَمَّةَ أَحَدًا يُفَكِّرُ فِيهَا ، وَلَنْ تَشْعُرَ بِالْحُزَنِ الَّذِي شَعَرْتُ بِهِ .

وَقَدْتُ دَرَّاجَتِي فِي شَارِعِ عُولَد ، وَانْعَطَفْتُ فِي آخِرِهِ إِلَى شَارِعِ
تَشِيرِش . وَكَانَتْ ثَمَّةَ شَاحِنَةٍ كَبِيرَةٍ رَابِصَةٍ أَمَامَ أَحَدِ الْمَنَازِلِ تَعَوُّقُ
حَرَكَةَ الْمُرُورِ . وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَتَطَّرَ ، فَالرَّحَلَةُ إِلَى الْمَنْزِلِ رَقْمُ ٩١
سَتَكُونُ بَطِئَةً .

وَأَحَدْتُ أَفْكَرًا فِي مَشَاكِلِ الْيَوْمِ وَأَنَا مُتَطَرِّ تَحْرُكِ الشَّاحِنَةِ . لِمَ
كُلُّ هَذَا الْعَسَاءِ الَّذِي فَرَضْتُهُ عَلَى نَفْسِي ؟ كَانَ بِمَقْدُورِي أَنْ أَكُونَ
فِي بَيْتِي الْآنَ ، أَوْ فِي الْحَدِيقَةِ أَنْسَقُهَا . لِمَاذَا أَحَاوَلُ الْإِهْتِمَامَ

بِالسَّيِّدَةِ رُوحَرُزُ ؟ لِمَاذَا لَمْ أَرَاهَا وَلَا مَرَّةً وَاحِدَةً قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَنِي
الْيَوْمَ ؟ إِنِّي أَعْمَلُ فِي هَلْوِيكَ مُنْذُ سِتَّةِ أَسَابِيعَ ، وَأَسَلِّمُ الْحِطَابَاتِ
فِي شَارِعِ تَشِيرِشَ طَوَالَ هَذِهِ الْأَسَابِيعِ السَّتَّةِ ، وَلَمْ يُصَادِفْنِي حِطَابٌ
لِلْمَنْزِلِ رَقْمُ ٩١ ، وَلَمْ أَسَلِّمْ أَيَّ شَيْءٍ فِي ذَلِكَ الْعُتُونِ ، وَلَمْ أَشَاهِدْ
مِنْ قَبْلِ السَّيِّدَةِ رُوحَرُزُ أَمَامَ بَابِهَا ، أَوْ فِي حَدِيقَتِهَا ، أَوْ بِوَابَةِ
الْحَدِيقَةِ .

وَبَدَأَ لِي الْأَمْرُ غَرِيبًا ، يَبْدُو أَنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ حَلَّ هَذَا اللَّعْرِ . وَهَذَا بَدَأُ
الْمُرُورِ بِتَحْرُكِهِ ، فَيَمَعْتُ بِدَرَّاجَتِي سَطَرَ مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ رُوحَرُزُ .

وَتَرَحَّلْتُ عِنْدَ بَابِ الْحَدِيقَةِ . وَبَيْنَمَا كُنْتُ سَائِرًا فِي مَمْشَى
الْحَدِيقَةِ سَأَلْتُ نَفْسِي : « أَلْقِي بِالْبِطَاقَةِ مِنْ خِلَالِ قُتْحَةِ صُدُوقِ
الْحِطَابَاتِ ثُمَّ أَنْصَرِفْ ؟ » لَكِنِّي قُلْتُ لِنَفْسِي : « إِنْ هَذَا تَصَرَّفَ غَيْرُ
وَدِيِّ فِي عِيدِ مِيلَادِهَا ، إِذْ إِنْ حَدِثَنِي مَعَهَا قَدْ يُدْخِلُ السُّرُورَ إِلَى
نَفْسِهَا . »

وَكُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْهَا ، وَأَدْخِلَ الْبَهْجَةَ إِلَى نَفْسِهَا . كُنْتُ
أُرِيدُ أَنْ أَرَاهَا مَرَّةً أُخْرَى ، لِأَعْطِيَهَا الْبِطَاقَةَ بِنَفْسِي كَيْ تَشْعُرَ بِأَنِّي
أَحَاوَلُ الْإِهْتِمَامَ بِهَا .

وَعَلَى هَذَا طَرَقَتْ بِأَنهَا بِصَوْتٍ عَالٍ ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَقَدْ رَفَعْتُ
الْبِطَاقَةَ أَمَامِي وَرَحْتُ أَحْمَلُوكَ إِلَى بَابِهَا ، وَانْتَظَرْتُ أَنْ يُفْتَحَ

« لَنْ يَرُدَّ عَلَيْكَ أَحَدٌ يَا مُورِّعَ الْبَرِيدِ . »

التفتُ فإذا بالصوتِ قادمٍ منْ حَديقَةِ المنزلِ رَقْمَ ٩٢ ، وَكَانَتْ ثَمَّةَ امْرَأَةٍ وَاقِفَةً تُحَدِّقُ إِلَيَّ ، وَكُنْتُ قَدْ رَأَيْتُهَا مِنْ قَبْلُ ، فَهِيَ تَسْكُنُ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ ، وَاسْمُهَا السَّيِّدَةُ سِيارْسُون . وَقَدْ دَأَبْتُ عَلَى مُرَاقَبَتِي مِنْ خِلَالِ نافذَتِهَا وَأَنَا أَسْلَمُ مَا مَعِيَ مِنْ خُطَابَاتٍ .

وَلَمْ أَكُنْ أَرْغَبُ فِي الْحَدِيثِ إِلَيْهَا ، بَيِّنَةً أَنَّهُ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَكَلِمَهَا : إِذْ بَدَتْ وَكَانَتْهَا تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ السَّيِّدَةِ رُوحَرزِ

قُلْتُ لَهَا : « لَسْتُ أَفْهَمُ ! »

« أَقُولُ لَكَ ، أَيُّهَا الْمُرَّعُ ، إِنَّهُ لَنْ يَرُدَّ عَلَيْكَ أَحَدٌ أَبَدًا . »

« لَكِنْ مَعِيَ بِطَاقَةٌ لِلْمَنْزِلِ رَقْمَ ٩١ . »

قَالَتْ : « هَذِهِ الدَّارُ لَا يَسْكُنُهَا أَحَدٌ . »

قُلْتُ ثَانِيَةً : « إِنَّ مَعِيَ بِطَاقَةَ عِيدِ مِيلَادِ السَّيِّدَةِ رُوحَرزِ ، وَالْيَوْمَ هُوَ عِيدُ مِيلَادِهَا . »

قَالَتْ : « أَعْرِفُ أَنَّ الْيَوْمَ هُوَ عِيدُ مِيلَادِهَا ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَى كَانَ

سَأَلْتُهَا : « أَتَقُولِينَ كَانَ ؟ مَاذَا تَعْنِينَ ؟ »

« أَعْنِي أَنَّ الْمَنْزِلَ رَقْمَ ٩١ خَالٍ مِنَ السُّكَّانِ ، وَأَعْنِي أَنَّ السَّيِّدَةَ رُوحَرزِ غَيْرُ مُقِيمَةٍ فِيهِ ، بَلْ لَا أَحَدٌ يُقِيمُ فِيهِ . وَلَكِنْ يُقِيمُ فِيهِ أَحَدٌ طَوَالَ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ . »

« لَكِنِّي رَأَيْتُ السَّيِّدَةَ رُوحَرزِ هَذَا الصُّبْحَ . »

قَالَتِ السَّيِّدَةُ سِيارْسُونُ : « كُنْتُ تَحْلُمُ ! »

« لَقَدْ كَانَتْ تَنْتَظِرُنِي ، وَقَالَتْ لِي إِنَّهُ عِيدُ مِيلَادِهَا . وَكَانَتْ تَأْمَلُ فِي أَنْ تَتَلَقَّى بِطَاقَةً مِنْ أَيْهَا الَّذِي يَعِيشُ فِي أَمْرِيكَ . »

وَبَدَا صَوْتُ السَّيِّدَةِ سِيارْسُونِ أَعْلَى وَهِيَ تَقُولُ . « لَقَدْ كَانَ يَعِيشُ فِي أَمْرِيكَ . أَتَيْتُ إِلَيَّ يَا مُورِّعَ الْبَرِيدِ ، مُنْذُ عَامٍ مَضَى وَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ ، كَانَتِ السَّيِّدَةُ رُوحَرزِ تَنْتَظِرُ بِطَاقَةَ تَهْنِئَةٍ بِعِيدِ مِيلَادِهَا مِنْ أَيْهَا ، الَّذِي لَمْ يَسْرِ عِيدُ مِيلَادِ أُمِّهِ قَطُّ . وَلَكِنْ تَصِلُ بِطَاقَةُ التَّهْنِئَةِ ، وَلَكِنْ وَصَلَتْهَا فِي الْيَوْمِ نَفْسُهُ بِرَقِيَّةٍ مُضْمُونِهَا أَنَّ أَبْنَاهَا قَدْ لَقِيَ مَصْرَعَةً فِي حَادِثِ سَيَّارَةٍ . »

قُلْتُ : « مِسْكِينَةُ السَّيِّدَةِ رُوجِرْزُ ! يَا لَهُ مِنْ نَيْمٍ فَظِيعٍ ! وَفِي عِيدِ
مِيلَادِهَا أَيْضًا ! لَقَدْ كَانَتْ حَقًّا رِسَالَةً فَظِيعَةً تَتَلَقَّاها فِي عِيدِ
مِيلَادِهَا . »

قَالَتِ السَّيِّدَةُ سِهَارْمُونُ : « هَذَا صَحِيحٌ . وَقَدْ قَضَتْ نَحْبَهَا فِي
مَسَاءِ الْيَوْمِ نَفْسِهِ . مَاتَتْ يَوْمَ عِيدِ مِيلَادِهَا ، مِنْذُ عَامٍ مَضَى . مَاتَتْ
كَسِيرَةَ الْقَلْبِ . »

وَقَفْتُ لِحُظَّةٍ بِلا حَرَكَ وَرَاحَتِ السَّيِّدَةِ سِهَارْمُونُ تُحَدِّقُ إِلَيَّ ، ثُمَّ
سَارَتْ نَحْوَ بَابِهَا قَائِلَةً : « إِنِّي لَا أُسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ هُنَا طَوَالَ
الصَّبَاحِ ، فَإِنَّ لَدَيَّ عَمَلًا لَا بُدَّ أَنْ أَنْجِزَهُ . »

وَسَمِعْتُهَا تُغْلِقُ بَابَهَا ، فَوَضَعْتُ بِطَاقَةَ السَّيِّدَةِ رُوجِرْزُ فِي جَيْبِي
وَمَشَيْتُ مُتَاقِلًا نَحْوَ بَابِ الْحَدِيقَةِ .





المغامرات المثيرة

- ١ - مغامرة في الأدغال
- ٢ - مغامرة في الفضاء
- ٣ - مغامرة أسيرين
- ٤ - مغامرة في الجزيرة الخضراء
- ٥ - مغامرة على الشاطئ
- ٦ - الجاسوس الطائر
- ٧ - لصوص الطريق
- ٨ - حمد الغواص الشجاع
- ٩ - اللسان الغبيان
- ١٠ - مطاردة لصوص السيارات
- ١١ - مغامرات السندباد البحري
- ١٢ - لعبة خطيرة
- ١٣ - الحشرة الذهبية وقصص أخرى
- ١٤ - اللؤلؤة السوداء
- ١٥ - سر الجزيرة
- ١٦ - مغامرة في النهر
- ١٧ - إميل والمخبرون السريون
- ١٨ - شبح الحديقة وقصص أخرى
- ١٩ - سر الدرجات التسع والثلاثين



مَكْتَبَةُ لِبْنَان

سَاحَةُ رِيَّاضِ الصَّلَح - بَيْرُوت

01 C 198218

رقم الكمبيوتر



هذا العمل هو لعشاق الكوميكس ، و هو لغير أهداف ربحية ولتوفير المتعة الأبدية فقط ، الرجاء حذف هذا العدد بعد قراءته ، و ابتياع النسخة الأصلية المرخصة عند نزولها الأسواق لدعم استمراريتها...

This is a Fan base production , not for sale or ebay , please delete the file after reading, and buy the original release when it hits the market to support its continuity